الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي
قسم الدراسات الإسلامية
تخصص التفسير وعلوم القرآن

السنن الإلهية في ضوء سورة الأحزاب

The Divine Sunnahs in the Light of Surat Al-Ahzab

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

هاني أحمد محمد الهيسلان

إشراف الدكتور:

قائد أحمد حزام الشريفي

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

السنن الإلهية في ضوء سورة الأحزاب

The Divine Sunnahs in the Light of Surat Al-Ahzab

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في تخصص التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

هاني أحمد محمد الهيسلان

إشراف الدكتور:

قائد أحمد حزام الشريفي

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ
تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢]

إهداء

إلى صاحب الخلق العظيم، والشفاعة العظمى، نبينا محمد ﷺ.

إلى والدي الكريم الذي زرع في قلبي محبة الله وتقواه.

إلى قرة عيني ومهجة فؤادي أمي الغالية التي أضنت حياتها من أجلي.

إلى زوجتي ورفيقة دربي التي تحملت معي عناء الترقب والانتظار.

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء الكرام.

إلى مشايخنا ومعلمينا من كان لهم الفضل علينا بعد الله عز وجل.

إلى كل من جمعتني بهم لحظة حب ووفاء، من أحبوني وأحببتهم، ومن علموني وعلمتهم.

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا البحث المتواضع، راجيا العلي القدير أن ينفع به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

شكر وتقدير

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل:١٩]، الشكر لله أولا وآخرا على ما هداني ووفقني ويسر لي من إتمام هذا البحث، وأسأله المزيد من فضله وأن يلهمني رشدي في جميع أمري.

واعترافا مني لأهل الفضل بفضلهم علي، أتقدم بالشكر والتقدير للدكتور قائد أحمد الشريفي، الذي شرفت بإشرافه على رسالتي، وقد كان –حفظه الله– مثالاً للخلق الجميل، ونموذجاً للتواضع والتعاون، فجزاه الله عني خير الجزاء، ورفع الله درجته، وأعلى شأنه ومنزلته، وحفظه من كل سوء ومكروه.

كما أتقدم بخالص التقدير والوفاء إلى جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية التي أتاحت لي الفرصة للالتحاق بها، لإتمام دراستي العليا، فلها موفور الشكر والتقدير.

كما أتقدم بالشكر لكل من أفادني من أساتذتي وزملائي من إهداء نصح أو توجيه أو غير ذلك، فجزا الله الجميع خير الجزاء، وبارك في أعمالهم وأعمارهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث السنن الإلهية في ضوء سورة الأحزاب، ويمكن اعتباره مساهمة مهمة في فهم السنن الإلهية وتطبيقها في حياة المجتمع، كما يمكن استخدامه كأداة لإثراء البحوث الأكاديمية بدراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم، حيث يسعى إلى إبراز السنن الإلهية في سورة الأحزاب، ومن ثم تحليلها وتفسيرها، وبيان آراء المفسرين وأقوالهم فيها، ومحاولة الوصول إلى نتائج جديدة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

احتوت المقدمة على: (أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلته، وحدوده، والمنهج المتبع، ومنهجية البحث، والدراسات السابقة، ومصطلحات البحث، وهيكله).

وبالنسبة للفصل الأول فقد كان تمهيدي، احتوى على مبحثين، المبحث الأول: تعريف مختصر لسورة الأحزاب، وسبب نزولها، ومقاصدها، ومناسبتها لسورتي السجدة وسبأ، والمبحث الثاني: كان بمثابة تأصيل لموضوع السنن الإلهية وتوضيحها بشكل عام، (مفهومها، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها).

وفي الفصل الثاني ابتدأت الحديث عن السنن الإلهية الواردة في سورة الأحزاب مبتدئا بسنة الابتلاء، ثم سنة النصر للمؤمنين، ثم سنة الهلاك للكافرين.

وفي الفصل الثالث واصلت الحديث عن السنن، فتحدثت عن سنة الله تعالى في الأنبياء والرسل، وقسمتها إلى سنن خلقية واجتماعية ودعوية، ثم تحدثت عن سنة الله في أعداء الرسل (اليهود، والمنافقين).

ثم ختمت البحث بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وذكر أهم التوصيات.

Abstract

This thesis studies the Divine Sunnahs in the light of Al-ahzab Sura, it is supposed as an important contribution to understand the Divine Sunnahs and applying them in the life of the community. As it can be used as a tool for enrichment of the academic researches during the studies of the Divine Sunnahs in Holy Qura'n. It aimed to accentuate Divine Sunnahs in Al-ahzab Sura and then analyze and interpret them and clarify the opinions and sayings of the interpreters in it, and try to reach new results.

The thesis includes an introduction, three chapters and a conclusion.

The introduction includes: (the importance of the topic, the reasons of choosing it, objectives, the problem, limits, the approach followed, the research methodology, previous studies, research terms, and its structure)

The first chapter: introduction include two studies
١- A brief definition of Al-ahzab Sura, its occasion, purposes, and its relevance to the two Surahs of Al-Sajdah and Saba'.

٢- It is a rooting of the concept of Divine Sunnahs and an explain, in general, characteristics, importance and types of Divine Sunnahs)

The second chapter: I begin with the Divine Sunnahs in Al-ahzab Sura, affliction, the law of victory for the believers, then the destruction for the unbelievers.

The third chapter: I continued to talk about the Sunnahs, so I write about the Sunnah of Allah regarding the prophets and messengers, and divided it into moral, social and advocacy Sunnahs, then I talked about the Sunnah of Allah regarding the enemies of the Messengers (the Jews and the hypocrites).

Then I concluded the thesis by mentioning the most important findings and results.

المقدمة

الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله، ومن سار على نهجه واقتفى أثره، وبعد:

فإن شرف العلم من شرف المعلوم، ولا علم أشرف من العلم بكتاب الله عز وجل؛ لأنه كتاب الله تعالى الخالد، ودستوره النير، وآيته الباقية أبد الدهر، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[فُصِّلَت:٣]، فيه بيان كل ما يحتاجه الفرد في حياته، وتبيان كل ما يهمه بعد مماته، لذلك أنزله الله –عز وجل– كتاباً مباركاً للتدبر والتذكر، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص:٢٩].

وإن الناظر اليوم في حياة المسلمين يجد أن كثيرا منهم صرفوا جل اهتماهم لحفظ القرآن وتلاوته، لكنها تلاوة من غير تدبر ولا تأمل لسنن الله تعالى في كتابه، بينما نجد أن طائفة منهم ينتظرون نصراً خارقاً للعادة دون الأخذ بسنن الله عز وجل، وما ذلك إلا لأنهم قرأوا القرآن من غير تدبر لسننه وقوانينه، فما يقع في هذا العالم من حوادث ومجريات لا يقع صدفة، ولا خبط عشواء، وإنما يقع وفق قانون عام دقيق ثابت صارم لا يتغير.

لذا أتت هذه الدراسة الموسومة بـ (السنن الإلهية في ضوء سورة الأحزاب) لتتحدث عن السنن التي يعامل الله الإنسان بمقتضاها، فهي تتحدث عن السنن في الأمم والأفراد، ولا تتحدث عن السنن التي سنها الله كنظام لهذا الكون، وكذلك تلقي الضوء على أهمية تدبر السنن الإلهية في القرآن، وبيان أثرها في حياة الأمة، ولمساعدة المسلم على التفكر في هذه السنن، ومعالجة السطحية والغفلة التي يقع فيها كثير من الناس عند التعامل مع الوقائع والأحداث، والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وينفع به الإسلام والمسلمين.

– أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في الآتي:

١– ارتباط الموضوع بكتاب الله تعالى، وهو أشرف ما يفني الإنسان عمره فيه.

٢- تبرز قيمته العلمية في أنه يعين على تدبر القرآن وفهم معانيه، وهو أولى ما صرفت إليه الهمم.

٣- كما تبرز قيمته العملية في أنه موضوع مهم تدعو الضرورة أن نهتم به اهتماماً بالغاً؛ وذلك لما يحيط بالأمة من صراعات وأزمات وشدائد ومحن وتكالب من أعدائها عليها، ولأن إحياء فقه السنن الربانية مطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأنها ترتبط بعقيدة المسلم، وهو لا يقل أهمية عن فقه الصلاة وفقه الزكاة، ونكون بذلك أكثر فهما لكتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ، وأكثر تبصرا بالأحداث التي تمر بنا ونعيشها اليوم في واقعنا .

٤- كذلك تبرز قيمته العملية في كونه يعالج وضع المسلمين وحالهم، لاسيما في هذه الأزمان التي ظهرت فيها الفتن وتعاظمت، وسيطرت الأكدار وترسبت على النفوس فأثقلتها، وبرزت المحن المؤدية إلى تغير الخاطر وانحباس الطبع الملازم لليأس والقنوط، والتي لا أرى سبيلا للخروج منها إلا بفقه السنن الإلهية ومجاراتها.

- أسباب اختيار البحث:

١- ما لمسته من حاجة ضرورية إلى البحث في هذا الموضوع.

٢- وقوفي على بعض الدراسات السابقة، فرأيت أن الموضوع ما زال يحتاج إلى المزيد من الإيضاح والتجلية والبيان، خاصة أن أغلب الرسائل السابقة تحدثت عن السنن الإلهية بشكل عام ولم تركز على سور بعينها، مثل سورة الأحزاب التي ذكرت فيها سنن إلهية تحاكي واقعنا اليوم، كما ذكر فيها سنن إلهية لم أجد باحثا قد تناولها من قبل كسنة الله تعالى في أنبيائه.

٣ـ اعتقاد بعض الناس أن ما يحصل في هذا الكون، وما يجري لهم من حوادث وتقلبات، أن ذلك يحصل صدفة، أو بسبب مؤثرات داخلية أو خارجية، فأردت من خلال هذا البحث أن أوضح وأبين بعض السنن التي تدل على أن ذلك يحدث وفق نظام إلهي محكم ودقيق.

٤ـ وفرة المصادر والمراجع لهذا الموضوع، مما شجعني في الكتابة فيه.

- أهداف البحث:

تتركز أهداف البحث في الآتي:

١ـ بيان مفهوم السنن الإلهية، وخصائصها، وأنواعها.

٢ـ إبراز أهمية السنن الإلهية في القرآن الكريم، ولفت أنظار المسلمين إلى ذلك.

٣ـ بيان أهم السنن الإلهية المذكورة في سورة الأحزاب ودراستها دراسة تفصيلية متكاملة.

٤- إثراء المكتبة الإسلامية برسالة علمية محكمة تسهم في خدمة كتاب الله تعالى، كما تسهم في معالجة قضايا المسلمين المعاصرة.

- مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث من خلال ما لمسته من ضعف الفهم لدى كثير من الناس بهذه السنن، حيث يعتقدون أن ما جرى ويجري في هذا الكون من تقلبات وأزمات وغيرها أن ذلك يحصل صدفة، أو بسبب مؤثرات داخلية أو خارجية، والحقيقة أن ذلك يجري وفق نظام محكم ودقيق، فأردت من خلال هذا البحث أن أجتهد في زيادة الوعي بهذه السنن لدى العامة، وكذلك الخاصة، وبيان أن ما وقع ويقع إنما هو وفق سنن إلهية ثابتة ومطردة لا تحابي ولا تجامل أحدا كائنا من كان.

وقد سعت الدراسة إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

س١ ما مفهوم السنن الإلهية، وما خصائصها، وما أنواعها ؟

س٢ ما أهمية السنن الإلهية ؟

س٣ ما السنن الإلهية المذكورة في سورة الأحزاب ؟

- حدود البحث:

اقتصر البحث على استقراء السنن الإلهية التي تضمنتها سورة الأحزاب، ودراستها دراسة تحليلية، إضافة إلى دراسة بعض الآيات في السور الأخرى التي توافق السنن المذكورة في السورة.

- المنهج المتبع:

اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي الاستقرائي والاستنباطي، حيث عمدت إلى استقراء النصوص القرآنية الواردة في سورة الأحزاب الخاصة بموضوع البحث، ثم قمت بتحليل المادة العلمية المستقرأة، كما أن منهجية البحث ابتعدت عن التعقيد والاستطراد؛ قصداً إلى تيسير

الموضوع؛ لتعم الفائدة جميع شرائح المجتمع بإذن الله تعالى.

- منهجية البحث:

بالنسبة للمنهجية التي قمت على ضوئها بجمع المادة العلمية يمكن تلخيصها في الخطوات الآتية:

١- قمت بكتابة الآيات بنفس خط البحث حسب لائحة الجامعة، مع بيان رقم الآية، وذكر اسم السورة التي وردت بها بين قوسين عقب الآية مباشرة.

٢- قمت بتخريج الأحاديث الواردة بالبحث وعزوها لمصادرها من كتب السنة، وبيان أقوال العلماء في صحة الحديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه مما كان فيه منهما، وإن كان في غيرهما خرجته كما تقدم، مبينا الحكم عليه من حيث القبول وعدمه.

٣- قمت بشرح الكلمات الغامضة والمشكلة التي وردت في البحث مستعينا بأمهات المعاجم.

٤- وضعت ترجمة موجزة لأعلام البحث في أول موضع تذكر فيه، باستثناء الصحابة وأئمة المذاهب الأربعة.

٥- أسندت كل نقل إلى قائله مع ذكر المصدر، وذكرت المعلومات اللازمة لكل مرجع عند ذكره أول مرة، ثم اكتفيت بذكر اسم الكتاب والمؤلف حسب لائحة الجامعة.

٦- أثبت علامات الترقيم اللازمة؛ لإيضاح النص وتمييزه.

٧- وضعت الفهارس اللازمة التي تخدم البحث مما يسهل الوصول إليه، وقد شملت: فهرس الآيات القرآنية مرتبة بالسور، والأحاديث النبوية مرتبة هجائيا، والكلمات الغريبة مرتبة هجائيا، والأعلام المترجمين مرتبين هجائيا، والمصادر والمراجع مرتبة هجائيا، وفهرس الموضوعات.

- الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع عن الموضوع في المواقع الإلكترونية تبين لي أن الدراسات السابقة التي سبقت موضوع بحثي إما أن تتحدث عن السنن الإلهية بشكل عام، وإما أن تتحدث عن السنن الإلهية في سورة معينة من سور القرآن الكريم، أما عن السورة التي قصدتها فلم يتطرق إليها باحث، ومن هنا يظهر وجه الجدة في بحثي هذا، وتميز بحثي أنه تحدث عن سنن لم يسبق لباحث أن

تطرق لها في بحثه كسنة الله تعالى في أنبيائه، إضافة إلى أن كون سورة الأحزاب تحاكي واقعا ملموسا نعاصره اليوم، وقد نزلت على النبي -ﷺ- في وقت شديد وعصيب كأيامنا هذه، وحاولت أن أربط هذه السنن بواقعنا اليوم والخروج بنتائج تسهم في معالجة قضايا الأمة.

فمن الرسائل السابقة التي تحدثت عن السنن الإلهية بشكل عام:

١- **السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم**، للأستاذ الدكتور توفيق الغلبزوري، وهو عبارة عن بحث مقدم للمشاركة في تأطير الدورة التكوينية الجامعية التي ينظمها المعهد العالمي للفكر بواشنطن.

٢- **مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي محمد رشيد رضا نموذجا**، إعداد حازم زكريا محيي الدين، وهي رسالة ماجستير بكلية الإمام الأوزاعي ببيروت.

٣- **رسالة بعنوان "السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط**، وهي رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس، كتبها مجدي محمد عاشور ٢٠٠٦م، تحدثت عن السنن الإلهية في الأمم والأفراد .

٤- **رسالة بعنوان "السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعا ودراسة**، وهي عبارة عن رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، من قبل الطالب أيمن بن نبيه المغربي عام ١٤٢٨هـ.

ـ ومن الرسائل السابقة التي تحدثت عن السنن الإلهية في سورة معينة من سور القرآن الكريم:

١- **السنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر**، إعداد الطالبة ديانا صاحب محمود الصاحب، وهي عبارة عن رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة الخليل ، تحدثت فيها عن أبرز السنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر.

٢- **السنن الإلهية في سورة يوسف عليه السلام هداياتها وتنزيلها على الواقع**، للدكتور يوسف بن زيدان السلمي أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة تبوك، وهو عبارة عن بحث ترقية، تحدث فيه عن السنن الإلهية في سورة يوسف.

- **مصطلحات البحث:**

- **السنن:** جمع سنة، والسنة في اللغة تعني السيرة حسنة كانت أو قبيحة، وتتضمن معنى البيان، فيقال: سنها الله للناس أي بينها، وسن الله سنة أي بين طريقا قويما(١).

ـ **وفي الاصطلاح:** "هي العادة التي تتضمن أن يفعل بالثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار"(٢).

- **والمقصود بالسنن الإلهية:** "هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"(٣).

- **هيكل البحث:**

تكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: (احتوت على: أهمية البحث، وأسباب الاختيار، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، وحدود البحث، والمنهج المتبع، ومنهجية البحث، والدراسات السابقة، ومصطلحات البحث، وهيكل البحث).

الفصل الأول: تمهيدي، ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعريف موجز بسورة الأحزاب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سبب نزول سورة الأحزاب.

المطلب الثاني: مقاصد سورة الأحزاب.

المطلب الثالث: مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها وما بعدها.

---

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، (١٣/ ٢٢٥).

(٢) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (١٣/ ٢٠).

(٣) زيدان، عبدالكريم زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، (ص: ١٣).

المبحث الثاني: تعريف بالسنن الإلهية، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية .

المطلب الثالث: أهمية السنن الإلهية.

المطلب الرابع: أنواع السنن الإلهية.

الفصل الثاني: سنة الابتلاء، وسنة النصر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: سنة الابتلاء، وأنواعه، وآثاره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سنة الابتلاء للمؤمنين.

المطلب الثاني: أنواع الابتلاء.

المطلب الثالث: آثار الابتلاء.

المبحث الثاني: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين، وإهلاك الكافرين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين.

المطلب الثاني: عوامل النصر ومعوقاته.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى في إهلاك الكافرين.

الفصل الثالث: سنن الله في الأنبياء والرسل، وفي أعدائهم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: سنة الله تعالى في الأنبياء والرسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله تعالى الخلقية في الأنبياء والرسل.

المطلب الثاني: سنة الله تعالى الاجتماعية في الأنبياء والرسل.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى الدعوية في الأنبياء والرسل.

المبحث الثاني: سنن الله تعالى في أعداء الأنبياء والرسل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سنة الله تعالى في اليهود.

المطلب الثاني: سنة الله تعالى في المنافقين.

الخاتمة: وفيها (النتائج، والتوصيات، والفهارس).

الفصل الأول: تمهيدي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف موجز بسورة الأحزاب.

المبحث الثاني: تعريف بالسنن الإلهية، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها.

المبحث الأول: تعريف موجز بسورة الأحزاب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سبب نزول سورة الأحزاب.

المطلب الثاني: مقاصد سورة الأحزاب.

المطلب الثالث: مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها وما بعدها.

توطئة

تعرف سورة الأحزاب بهذا الاسم، ولا يعرف لها اسم غيره[١]، ووجه التسمية أن الله ذكر فيها غزوة الأحزاب كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب:٢٠]، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٢٢]، وكان نزولها في شوال سنة خمس للهجرة[٢]، وهي مدنية بالإجماع[٣]، نزلت بعد سورة آل عمران، كما تعد رابع سورة نزلت بالمدينة، قال صاحب البرهان في ترتيب ما نزل بالمدينة: "فأول ما نزل فيها سورة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب..."[٤]، وعدد آياتها ثلاث وسبعون آية ليس فيها اختلاف[٥].

المطلب الأول: سبب نزول سورة الأحزاب:

لسورة الأحزاب العديد من أسباب النزول، وسأكتفي بذكر الروايات الصحيحة دون غيرها.

١- قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[الأحزاب:٥]، نزلت في زيد بن حارثة -رضي الله عنه- عندما كانوا ينادونه زيد بن محمد، فجاء الإسلام وأبطل ظاهرة التبني، وأمرهم أن ينسبوا الأبناء إلى الآباء، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: «أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله -ﷺ- ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد

---

(١) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (٢١/ ٢٤٥).

(٢) ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥، (٢/ ٢١٤).

(٣) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، (٣/ ٤٤٦).

(٤) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١، (١/ ١٩٤).

(٥) ينظر: الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، (ص: ٢٠٨).

حتى نزل القرآن»، ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[الأحزاب: ٥][(١)]، قال ابن جريج[(٢)]، قال مجاهد[(٣)] في هذه الآية: "نزلت في زيد بن حارثة، كان تبناه محمد ﷺ"[(٤)].

٢- قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب:٢٣]، عن أنس -رضي الله عنه- قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: «يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع»، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني المشركين - ثم تقدم»، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: «يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد»، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال أنس: "كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[الأحزاب: ٥]، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، القاهرة، (٦/ ١١٦، رقم: ٤٧٨٢).

(٢) هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، القرشي بالولاء المكي، كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، كان أحد العلماء المشهورين، ويقال إنه أول من صنف الكتب في الإسلام، توفي سنة تسع وأربعين ومائة، وقيل سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومائة، رحمه الله تعالى. ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: ١٩٠٠، (٣/ ١٦٣، ١٦٤).

(٣) هو مجاهد بن جبر، يكنى أبا الحجاج، مولى قيس بن السائب القارئ، كان مولده سنة: (٢١هـ) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وكان فقيها عالما عابدا ورعا متقنا ثقة كثير الحديث، أخذ التفسير عن ابن عباس، وعرض عليه القرآن ثلاثين عرضة، مات بمكة وهو ساجد بعد أن بلغ ثلاثا وثمانين سنة، سنة: (١٠٤هـ). ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، (٦/ ١٩)، ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **الثقات**، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (ص: ٢).

(٤) القاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله، **الناسخ والمنسوخ في القرآن**، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، الرياض، (١/ ٢٨٨).

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[الأحزاب:٢٣] إلى آخر الآية"[١].

٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[الأحزاب:٢٨]، ذكر ابن جرير الطبري[٢] -رحمه الله تعالى- أن هذه الآية نزلت على رسول الله -ﷺ- من أجل أن عائشة سألت رسول الله -ﷺ- شيئا من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله -ﷺ- نساءه شهرا، فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهن،[٣] قالت عائشة -رضي الله عنها-: لما أمر رسول الله -ﷺ- بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: «إني ذاكر لك أمرا، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: " إن الله -ﷻ- قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[الأحزاب:٢٨-٢٩]، قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله -ﷺ- مثل ما فعلت[٤].

قال النووي[٥] عند شرحه لهذا الحديث: "وإنما قال لها هذا شفقة عليها وعلى أبويها ونصيحة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب:٢٣]، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٩ رقم: ٢٨٠٥).

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، كانت ولادته سنة: (٢٢٤هـ) بآمل طبرستان، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها، توفي يوم السبت، سنة: (٣١٠هـ) ببغداد. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٤/ ١٩١، ١٩٢).

(٣) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠، (٢٠/ ٢٥١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢/ ١١٠٣ رقم: ١٤٧٥).

(٥) هو الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، محرر المذهب الشافعي ومهذبه وضابطه ومرتبه، ولد سنة (٦٣١هـ)، ونشأ ببلده نوى، كان على جانب كبير من العلم والزهد والتقشف، لم يتزوج قط، قليل النوم، كثير السهر في العبادة والتلاوة والذكر والتصنيف، له مصنفات كثيرة منها: شرح مسلم، وكتاب

لهم في بقائها عنده –ﷺ– فإنه خاف أن يحملها صغر سنها وقلة تجاربها على اختيار الفراق فيجب فراقها فتضر هي وأبواها وباقي النسوة بالاقتداء بها..."[١].

ثم تابع النووي تعليقه قائلا: "وفي هذا الحديث منقبة ظاهرة لعائشة ثم لسائر أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– وفيه المبادرة إلى الخير وإيثار أمور الآخرة على الدنيا وفيه نصيحة الإنسان صاحبه وتقديمه في ذلك ما هو أنفع في الآخرة"[٢].

٤– قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ...﴾[الأحزاب:٣٥]، نزلت في أم سلمة –رضي الله عنها– لما قالت للنبي –ﷺ– أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء، يدل على ذلك ما رواه الحاكم[٣] في مستدركه عن أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: قلت: يا رسول الله، يذكر الرجال ولا يذكر النساء، فأنزل الله –ﷻ–: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية[٤].

٥– قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب:٣٧].

عن أنس بن مالك –ﷺ–: «أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]

تهذيب الأسماء واللغات، وكتاب المنهاج في الفقه، توفي –رحمه الله– سنة (٦٧٦هـ)، ودفن بنوى. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **طبقات الشافعيين**، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، (ص: ٩٠٩–٩١٣).

(١) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج على مسلم**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، بيروت، (١٠/ ٧٨).

(٢) النووي، **شرح النووي على مسلم**، (١٠/ ٧٩).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم النيسابوري، إمام أهل الحديث في عصره، عرف بالحاكم لتقلده القضاء، كانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة: (٣٢١هـ) بنيسابور، كان عالما عارفا واسع العلم، له مصنفات كثيرة، منها: معرفة علوم الحديث، وتاريخ علماء نيسابور، والمستدرك على الصحيحين، توفي بنيسابور سنة: (٤٠٥هـ). ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٤/ ٢٨١).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، (٢/ ٤٥١، رقم: ٣٥٦٠)، وقال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (٢/ ٤٥١).

نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة»[١].

قال صاحب فتح الباري: "لم تختلف الروايات أنها نزلت في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي لله عنهما"[٢].

٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[الأحزاب: ٥٣]، أخرج البخاري[٣] في صحيحه أن أنس بن مالك -ﷺ- قال: «لما تزوج رسول الله -ﷺ- زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي -ﷺ- ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي -ﷺ- أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٣] الآية»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾[الأحزاب:٣٧]، البخاري، **صحيح البخاري**، (٦/ ١١٧، رقم: ٤٧٨٧).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، ١٣٧٩، بيروت، (٥٢٣/٨).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، ولد سنة: (١٩٤هـ)، طلب العلم، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومهر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه، وكان إماما في علم الحديث، وهو صاحب كتاب الجامع الصحيح والتاريخ، توفي ليلة الفطر، سنة: (٢٥٦هـ). ينظر: ، (٢/ ٣٢٢، ٣٢٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[الأحزاب: ٥٣]، البخاري، **صحيح البخاري**، (٦/ ١١٨، رقم: ٤٧٩١).

المطلب الثاني: مقاصد سورة الأحزاب:

من المعلوم أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مقاصد وأهدافا تأتي لبيانها وتقريرها، وسورة الأحزاب جاءت لتؤكد وتثبت العديد من المقاصد، ومن هذه المقاصد:

١- الأمر بتقوى الله تعالى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين.

نلمس هذا المقصد من خلال الآيات الأولى التي ابتدأت بها السورة، حيث وجهت الخطاب للنبي -ﷺ- بالامتثال بتقوى الله تعالى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الأحزاب:١]، فإذا كان الله يخاطب رسوله بهذا فغيره من باب أولى أن يتعظ ويمتثل، فهذه الآية – كما يقول ابن كثير[١] في تفسيره-: "فيها تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا، فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى"[٢].

٢- إبطال بعض العادات والتقاليد الاجتماعية.

نزلت سورة الأحزاب لتبطل بعضا من العادات والتقاليد السيئة التي اعتاد الناس على قولها أو فعلها في الجاهلية ومن ذلك:

أ- إبطال قول من قال لرجل في جوفه قلبان.

من مقاصد سورة الأحزاب أنها نزلت لتؤكد أن الله لم يخلق لرجل قلبين في جوفه، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[الأحزاب:٤]، وهي في الحقيقة ترمز- كما يقول سيد قطب[٣] إلى

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن كثير القرشي البصروي الدمشقي، الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الكبير، صاحب «البداية والنهاية»، و «التفسير»، وغير ذلك من المصنفات النافعة الماتعة، ولد سنة (٧٠٠هـ)، شرع بطلب العلم على عدد من العلماء الأعلام من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ المزّي، وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، توفي سنة (٧٧٤هـ)، ودفن عند شيخه ابن تيمية في دمشق. ينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، (١/ ٦٧، ٦٨).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، (٦/ ٣٧٥).

(٣) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد سنة: (١٣٢٤هـ) قرية (موشا) في أسيوط، سجن

أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من أفق واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق، واضطربت خطاه، وما دام لا يملك إلا قلبا واحدا، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد وأن يتبع نهجا واحدا وأن يدع ما عداه من مألوفات وتقاليد وأوضاع وعادات(١).

ب- تحريم الظهار:

الظهار هو قول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، أو غيرها من المحارم، وكان يعتبر في الجاهلية طلاقا، فجاء الإسلام وحرمه، وألزم قائله الكفارة المغلظة كما بينت ذلك سورة المجادلة، وقد أكدت سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾[الأحزاب:٤] أن الأزواج لا حق لهم في تحريم زوجاتهم كتحريم أُمهاتهم، بل تبقى الزوجة زوجة ولا تصير أما بهذا الكلام.

جـ- إبطال التبني:

التبني: هو أن يتخذ رجل ما غريبا عنه فينسبه إليه، وقد اعتاد الناس في الجاهلية على ذلك، فكان الواحد منهم يقوم أمام الملأ فيعلن لهم تبنيه لشخص ما، فيصير في مقام ابنه الذي من صلبه، يورثه ويرثه، ويحل له ما يحل لأولاده، ويحرم عليه ما يحرم على أولاده، وقد ذكر أهل التفسير -كما بينا في المطلب السابق- أن النبي -ﷺ- قد تبنى زيد بن حارثة، فكان الصحابة -كما ذكر عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- لا ينادونه إلا زيد بن محمد، فجاءت سورة الأحزاب لتبطل تلك العادة، وتقرر أن العدل عند الله تعالى في الأبناء أن ينسبوا إلى آبائهم، قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[الأحزاب:٥].

من خلال هذا المقصد نلحظ ترابطا بين قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۖ﴾ وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ وكذلك قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ

فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة: (١٣٨٧هـ)، كتبه كثيرة، منها (التصوير الفني في القرآن) و (في ظلال القرآن). ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، (٣/ ١٤٧).

(١) ينظر: قطب، سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢هـ، بيروت- القاهرة، (٥/ ٢٨١٩).

أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ بمعنى كما أنه لا يمكن أن يكون هناك قلبين في جوف رجل، كذلك لا يمكن أن تكون المرأة زوجا وأما للمظاهر، ولا يمكن كذلك أن يكون الدعي ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له، قال الزمخشري[١]:"ما جمع الله قلبين في جوف، ولا زوجية وأمومة في امرأة، ولا بنوّة ودعوة في رجل"[٢]، كما نلحظ من خلال الآية اهتمام الإسلام بالأسرة، وحفاظه عليها حتى لا تضطرب وتتفكك، فأبطل تلك العادات الجاهلية.

٣- بيان فضل الله تعالى في نصر المؤمنين.

بين الله تعالى في هذه السورة فضله على المؤمنين، وما امتن به عليهم من نعم، وما حقق لهم من نصر وتمكين على أعدائهم من الأحزاب والمنافقين وأهل الكتاب، وذلك من خلال الآيات التي عرضت غزوة الخندق، وما جرى فيها من أحداث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب:٩]، وطريقة القرآن في مثل هذه الوقائع – كما يقول سيد قطب- أن يرسم الحركة التي وقعت، ويرسم معها المشاعر الظاهرة والباطنة، ويسلط عليها الأضواء التي تكشف زواياها وخباياها، ثم يقول للمؤمنين حكمه على ما وقع، ونقده لما فيه من خطأ وانحراف، وثناءه على ما فيه من صواب واستقامة، وتوجيهه لتدارك الخطأ والانحراف، وتنمية الصواب والاستقامة، وربط هذا كله بقدر الله وإرادته وعمله ونهجه المستقيم، وبفطرة النفس، ونواميس الوجود[٣].

٤- ذكر فضل ومكانة بيت الرسول صل الله عليه وسلم.

بينت سورة الأحزاب فضل بيت النبي -ﷺ- فذكرت طائفة من الآداب والأحكام، ومن جملة ذلك:

---

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، معتزلي المذهب، ولد في قرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى (زمخشر) سنة: (٤٦٧هـ)، من مصنفاته الكشاف في تفسير القرآن العزيز، و الفائق في تفسير الحديث، و أساس البلاغة في اللغة، توفي سنة: (٥٣٨هـ). ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٥/ ١٦٨).

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ، (٣/ ٥٢٠).

(٣) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٨٢٠).

أ- اعتبار زوجات الرسول -ﷺ- أمهات للمؤمنين.

ب- تخييرهن بين متاع الدنيا وبين الله ورسوله.

جـ- مضاعفة العقاب لهن على المعصية، يقابله مضاعفة الثواب لهن على العمل الصالح.

د- بيان فضلهن على سائر النساء.

هـ- الأمر بقوة الكلام وعدم إلانة القول للرجال.

و- الأمر بالقرار في البيوت والنهي عن التبرج.

ز- مطالبتهن بمداومة الطاعة.

حـ- توجيه الله تعالى لنبيه -ﷺ- بأن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بالالتزام بالحجاب.

ط- جواز تزوج مطلقات الأبناء من التبني، فقد جاءت سورة الأحزاب لتثبت للمؤمنين أنه لا حرج في الزواج من مطلقات الأبناء من التبني، وذلك من خلال زواج النبي -ﷺ- بزينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنهما، يقول سيد قطب: "كانت العرب تحرم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب وما كانت تطيق أن تحل مطلقات الأدعياء عملا، إلا أن توجد سابقة تقرر هذه القاعدة الجديدة، فانتدب الله رسوله ليحمل هذا العبء فيما يحمل من أعباء الرسالة"(١).

٥- التحذير من إيذاء الرسول صل الله عليه وسلم.

ترشد سورة الأحزاب في بدايتها إلى التأسي بالنبي ﷺ، وفي نهايتها تحذر من إيذائه، سواء كان هذا الأذى لنفسه أو لأهله، ومما كان يؤذي النبي -ﷺ- دخول بيته بدون إذنه، وقول من قال أنه يرغب في الزواج من زوجاته بعد مماته، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾[الأحزاب:٥٣].

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٨٦٤).

د- بيان مكانة النبي -ﷺ- عند الله وفي الملأ الأعلى.

بعد أن حذر الله تعالى من إيذاء نبيه -ﷺ- في الآيات السابقة أكد بعدها على مكانته عنده وعند ملائكته وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب:٥٦]، "والمتبادر أن الآية متصلة بما قبلها وما بعدها معا ومعقبة على ما جاء قبلها من التعليم والتأديب والنهي وممهدة لما جاء بعدها من الإنذار للذين يتعمدون مكايدة النبي -ﷺ- وأذاه، وأنها استهدفت تلقين المسلمين ما يجب عليهم إزاء النبي من التوقير والإخلاص واجتناب كلّ ما يؤذيه ويحزّ في نفسه قولا وعملا سرا وجهرا واتباع كل ما فيه رضاؤه وقرة عينه وفعله"(١).

٧- فضح المنافقين وتحذيرهم لنشرهم الأخبار الكاذبة.

ابتدأت السورة بالنهى عن طاعة المنافقين، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[الأحزاب:١] ثم فضحتهم وكشفت جبنهم وتخلفهم عن القتال، ﴿وَيَسۡتَٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾[الأحزاب:١٣]، وفي نهايتها حذرت المنافقين ومن كان على شاكلتهم بالقتل، وذلك لنشرهم الأخبار الكاذبة في أوساط المسلمين،﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[الأحزاب:٦٠]، "قال المفسرون: وقد أغري بهم، فقيل له: جاهد الكفار والمنافقين"(٢).

٨- التأكيد على أهمية الأمانة في الإسلام.

لما للأمانة من أهمية عظيمة في حياة المجتمع، فقد تحدثت عنها سورة الأحزاب، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾[الأحزاب:٧٢]، وقد ذكر أهل التفسير عدة أقوال لمعنى الأمانة، فذهب بعضهم إلى أنها الطاعة والفرائض، وذهب آخرون إلى أنها أمانات الناس، وذهب

---

(١) دروزة، دروزة محمد عزت، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ، (٧/ ٤١٤).

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، بيروت، (٣/ ٤٨٤).

آخرون فقالوا إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه، قال الطبري وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الأمانة جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس[١]، ويرى الباحث أن ما اختاره الطبري هو الصواب وذلك أن الله تعالى اطلق معنى الأمانة ولم يخصها بنوع معين من الأمانات.

المطلب الثالث: مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها وما بعدها:

ذكرنا سابقا أن سورة الأحزاب سورة مدنية بإجماع المفسرين، والمتأمل للسورتين اللتين قبل وبعد سورة الأحزاب يجد أنهما مكيتان، ومع الفارق الزمني للسور إلا أنك تجد بينهن ترابطا وتناسبا عجيبا، وهذا يؤيد القائلين بأن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات، وقبل الحديث عن مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها وما بعدها نذكر مناسبة بدايتها لنهايتها، فقد ابتدأت السورة بالحث على التقوى فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الأحزاب:١] وختمتها بذلك فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[الأحزاب:٧٠]، فكأن السورة مغزاها تحقيق التقوى، إذ لو تحقق لاستقامت الأمور وصلح الحال، وكنا في أحسن حال، هذا فيما يتعلق بالسورة نفسها أما ما يتعلق بما جاورها فسنبين ذلك في الآتي:

أولاً: مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها(سورة السجدة):

تظهر صلة سورة الأحزاب بسورة السجدة من عدة وجوه، الأول: أن سورة السجدة اختتمت بأمر النبي -ﷺ- بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[السجدة:٣٠]، وسورة الأحزاب ابتدأت بأمر النبي -ﷺ- بالتقوى وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الأحزاب:١]، فصارت كالتتمة لما ختمت به تلك، حتى كأنهما سورة واحدة[٢]، ويقول النيسابوري[٣] في تفسيره: "لما أمره في آخر السورة المتقدمة بانتظار الفرج والنصر أمره في أول هذه

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٢٠/ ٣٤١).

(٢) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (ص: ١٢٤).

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات،

السورة بأن لا يتقي غير الله ولا يطيع سواه"[١].

الثاني: أن سورة السجدة ذكر فيها من الوعد والوعيد والتخويف والإنذار كقوله: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[السجدة:١٣]، بينما سورة الأحزاب جاء فيها من التأنيس والبشارة ما يطمئن قلبي النبي -ﷺ- والمؤمنين كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾[الأحزاب:٤٧]، يقول صاحب البرهان في تناسب سور القرآن: "ولما تحصل من السورتين من الإشارة إلى السوابق ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ كان ذلك مظنة لتيئيس نبي الله -ﷺ- وصالحي أتباعه، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته"[٢].

الثالث: أن السورتين فرقتا بين الحق والباطل، بين أهل الإيمان وأهل الكفر، بين المقيمين على طاعة الله والخارجين عنها، فقد ذكر في سورة السجدة قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾[السجدة:١٨]، وقوله في سورة الأحزاب: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[الأحزاب:٢٤]، فكلتا السورتين ميزتا المؤمن الصادق عن غيره.

ثانياً: مناسبة سورة الأحزاب لما بعدها(سورة سبأ):

لما أن كان جو سورة الأحزاب جو نعم ونصر وتمكين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب:٩] افتتحت سورة سبأ بالحمد، وفي هذا دلالة واضحة على أن النعم لابد أن تقابل بالحمد والشكر لتبقى وإلا ذهبت، فبقاؤها بالشكر وزوالها بالكفر، وهذا من سنن الله تعالى مع خلقه،

أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور، له كتب منها: غرائب القرآن ورغائب الفرقان في ثلاثة مجلدات، يعرف بتفسير النيسابورى، ألفه سنة: (٨٢٨ هـ)، وتوفي بعد سنة: (٨٥٠ هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٢/ ٢١٦).

(١) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ، بيروت، (٥/ ٤٤٥).

(٢) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، **البرهان فى تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، (ص: ٢٧٩-٢٨٠).

﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾[إبراهيم:٧].

كما اختتمت سورة الأحزاب بالتأكيد على استحقاق المنافقين والمشركين العذاب، وتوبة الله تعالى على المؤمنين، بينما ابتدأت سورة سبأ ببيان سعة ملك الله تعالى، ووجه التشابه بينهما – كما يقول السيوطي(١) في كتابه أسرار القرآن عندما تحدث عن مناسبة سورة سبأ لما قبلها فقال–: "ظهر لي وجه اتصالها بما قبلها: وهو أن تلك لما ختمت بقوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾[الأحزاب:٧٣] افتتحت هذه بأن له ما في السماوات وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم؛ فإن الملك العام والقدرة التامة يقتضيان ذلك، وخاتمة سورة الأحزاب: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[الأحزاب:٧٣]، وفاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾[سبأ:٢]"(٢)، وذكر صاحب التفسير المنير أن سورة سبأ افتتحت ببيان صفات الملك التام والقدرة الشاملة التي تناسب ختام السورة السابقة في تطبيق العذاب وتقديم الثواب(٣)، أيضا سورة الأحزاب اختتمت بالحديث عن الأمانة وتبدأ سورة «سبأ» بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[سبأ:١] تبدأ بهذا الاستفتاح بحمد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وكأنها بهذا الاستفتاح تضع بين يدى الإنسان المفتاح الذي يحفظ به ما استودع من أمانات الله وهو حمد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض(٤).

ومن المناسبات بين السورتين أن في سورة الأحزاب سأل الكفار عن الساعة استهزاء، ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾[الأحزاب:٦٣]، وفي سورة سبأ حكى القرآن عنهم إنكارها صراحة، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾[سبأ:٣]، ويأتي الرد الإلهي: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[سبأ:٣].

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة: (٨٤٩ هـ)، ونشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه، له نحو: (٦٠٠) مصنف منها: الإتقان في علوم القرآن، و الدر المنثور في التفسير بالمأثور، توفي سنة: (٩١١ هـ)، ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٣/ ٣٠١).

(٢) السيوطي، **أسرار ترتيب القرآن**، (ص: ١٢٤).

(٣) ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، (٢٢/ ١٣١).

(٤) ينظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي – القاهرة، (١١/ ٧٧١).

المبحث الثاني: تعريف بالسنن الإلهية، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية .

المطلب الثالث: أهمية السنن الإلهية.

المطلب الرابع: أنواع السنن الإلهية.

المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح:

جرت عادة الباحثين أن يبدؤوا في بحوثهم أولا بتعريف موضوع بحثهم في اللغة ثم في الاصطلاح، ليتمكن القارئ من معرفة قصد الباحث في بحثه، وما الذي يسعى إليه، لذلك سأبدأ – مستعينا بالله تعالى– أولا بتعريف لفظ (السنن) في اللغة والاصطلاح، ثم تعريف لفظ (الإلهية) في اللغة والاصطلاح، ثم تعريف السنن الإلهية كلقب.

أولاً– تعريف السنة لغة:

السنن جمع سنة ، وقد تعددت معنى السنة في معاجم اللغة، بل في المعجم الواحد، قال ابن فارس[١]: السنة هي السيرة، وسنة رسول الله –ﷺ–: سيرته[٢]، وعند الرجوع إلى معجم لسان العرب نجد أن السنة تعني: السيرة حسنة كانت أو قبيحة، وتأتي بمعنى البيان، فيقال: سنها الله للناس أي بينها، وسن الله سنة أي بين طريقا قويما[٣]، وتأتي بمعنى الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق[٤]، ويشهد له ما جاء في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[النساء:٢٦]، قال ابن كثير يعني: "طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها"[٥]، ونلحظ مما سبق أن أهل اللغة توافقوا على أن السنة تعني الطريقة أو السيرة، وهي الأصل كما ذكر ذلك صاحب لسان العرب في معجمه[٦]، فإذا ما نسبت إلى الله أو رسوله تعين أن تكون حسنة، وإذا ما نسبت إلى غيرهما جاز أن تكون حسنة أو قبيحة.

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها، من كتبه: المجمل في اللغة، و حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، توفي سنة: (٣٩٠ هـ) رحمه الله تعالى. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (١/ ١١٨–١١٩).

(٢) ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (٣/ ٦١).

(٣) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، (١٣/ ٢٢٥).

(٤) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (١٣/ ٢٢٦).

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ٢٦٧).

(٦) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (١٣/ ٢٢٥).

ثانياً: تعريف السنة اصطلاحا:

يختلف المعنى الاصطلاحي للسنة عند علماء كل فن، فالسنة عند المحدثين غيرها عند الفقهاء وهكذا...، والذي يهمنا هنا معرفتها عند المفسرين، فالسنة في نظر المفسرين تعني: "الطريقة التي يكون عليها الإنسان ويلازمها، ومنه «سنة الأنبياء» عليهم السلام" [١]، وقيل: "هي الطريقة الجارية على الدوام مع الإمكان" [٢]، وقيل: "هي الطريقة المتبعة في الخير والشر" [٣]، أما صاحب التحرير والتنوير فقد عرفها بقوله: "هي السيرة من العمل أو الخلق الذي يلازم المرء صدور العمل على مثالها" [٤]، وجاء في تفسير المنار تعريفها بأنها: "الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع"[٥].ومن خلال التعاريف السابقة نجد أن المفسرين متقاربون في تعريف السنة وإن اختلفت صيغ التعاريف، فكل التعاريف تؤكد معنى واحدا، كما نجد أن أهل التفسير قد توافقوا مع أهل اللغة على أن السنة تعني الطريقة أو السيرة.

ثالثاً: تعريف (الإلهية) لغة واصطلاحا:

قال ابن فارس: الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد[٦]، ويقول صاحب لسان العرب: "الإله: الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبودا إله عند متخذه، والجمع آلهة، والآلهة: الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه"[٧].

---

(١) السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (٣/ ٣٩٩).

(٢) ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك، **تفسير ابن فورك**، تحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م، (٢/ ١٢٤).

(٣) السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، (١/ ٣٦٠).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٤/ ٩٦).

(٥) رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر:١٩٩٠م، (٤/ ١١٥).

(٦) ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (١/ ١٢٧).

(٧) ابن منظور، **لسان العرب**، (١٣/ ٤٦٧).

ويعرف الإله في الاصطلاح بأنه اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق[١]، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[الأنبياء:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾[المؤمنون:١١٧]، يتبين لنا من الآيتين السابقتين أن (الإله) في القرآن الكريم يطلق على الله تعالى وعلى غيره، وأما (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق، لم يطلق على غيره.

وقيل: "هو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق"[٢].

وقيل: "الإله من يكون خالقا للخلق، رازقا لهم، مدبرا لأمورهم، مقتدرا عليهم"[٣].

"فكل من عبد شيئا فقد اتخذه إلها، وليس للخلق رب ولا إله إلا الله الذي خلقهم، فهو المالك لكل شيء في كل زمن وكل حال، وملكه حقيقي تام، وملك غيره عرفي ناقص موقوت، له أجل محدود، وهو المعبود بحق، إذ العبادة الحق لا تكون إلا لله"[٤].

إذن: فالإلهية نسبة إلى الإله وهو الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: تعريف السنن الإلهية عند المفسرين وغيرهم:

بعد أن عرفنا لفظي (السنة) و (الإلهية) في اللغة والاصطلاح، نأتي الآن إلى تعريف السنن الإلهية كلقب، وهي نوعان:

أ- سنن كونية مادية: وهي التي تتعلق بالكون وسيره وما فيه من مخلوقات، كسنة سير الشمس والقمر، وسنة تعاقب الليل والنهار، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[يس:٤٠]، إذ كل هذه المخلوقات يسير وفق نظام محكم دقيق، وقد عرفها سيد قطب بقوله: "هي القوانين الكونية التي أودعها الله هذا الكون ليسير على وفقها، ويتحرك بموجبها، ويعمل بمقتضاها"[٥].

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (١/ ٦).
(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (١/ ١٢٢).
(٣) السمعاني، **تفسير القرآن**، (١/ ٣٣).
(٤) رضا، **تفسير المنار**، (٧/ ٤٧٣).
(٥) قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٢٧٨).

ب- سنن اجتماعية: وهي التي تتعلق بحياة البشر وسلوكهم وأفعالهم، كسنة الله في العصاة والمكذبين، قال تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧]، وسيأتي تفصيلهما لاحقا بمشيئة الله تعالى.

والذي يظهر أن السنن الكونية أعم من السنن الاجتماعية، فالسنن الكونية يدخل فيها جميع المخلوقات الإنسان وغيره، بينما السنن الاجتماعية تختص بالبشر، وهذا النوع الثاني غالبا ما قصده أصحاب التفسير في تفاسيرهم وخاصة المعاصرين، وهو ما سيكون عليه مدار بحثنا بمشيئة الله تعالى.

قال الراغب الأصفهاني[١]:"سنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[الفتح:٢٣]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[فاطر:٤٣]"[٢]، واكتفى صاحب فتح القدير بقوله: "والمراد بالسنن: ما سنه الله في الأمم من وقائعه"[٣]، وقيل: "وقائع في الأمم المكذبة، أجراها الله- تعالى- على حسب عادته، وهي الإهلاك والدمار بسبب كفرهم وظلمهم وفسوقهم عن أمره"[٤].

ويرى صاحب الظلال أن هذه السنن هي التي تحكم الحياة وهي التي قررتها المشيئة الطليقة فما وقع منها في غير زمانكم فسيقع مثله- بمشيئة الله- في زمانكم، وما انطبق منها على مثل حالكم فهو كذلك سينطبق على حالكم[٥].

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، أديب، من أهل أصبهان، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، من كتبه: محاضرات الأدباء، و المفردات في غريب القرآن، توفي سنة: (٥٠٢هـ). ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، (١٨/ ١٢١-١٢٢)، و الزركلي، **الأعلام**، (٢/ ٢٥٥).

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، (ص: ٤٢٩).

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، (١/ ٤٣٩).

(٤) طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، (٢/ ٢٧٠).

(٥) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٧٩).

وقال ابن تيمية[١] في مجموع الفتاوى: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول؛ ولهذا أمر -ﷻ- بالاعتبار وقال: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[يوسف:١١١]"[٢].

وذهب صاحب كتاب السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، أن السنن الإلهية هي: "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[٣].

التعريف المختار:

والذي يظهر لي من هذه التعاريف أن ما ذكره صاحب كتاب السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد هو التعريف الأشمل في موضوع بحثنا (السنن الإلهية الاجتماعية) وهو المختار.

المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية:

بعد معرفتنا لمعنى السنن الإلهية، نأتي إلى بيان خصائصها وما تمتاز به من سمات، وذلك من خلال الآيات التي وردت فيها لفظ (سنة)، إذ أن هذه الخصائص ظاهرة جلية لكل من أمعن النظر في كتاب الله تعالى وتأمل فيه، "والسنن الإلهية تقرر قوانين محددة، وتتصف بأنها دائمة خالدة، وثابتة غير متغيرة، ومستمرة غير متحولة، تشمل الأولين والآخرين، وهذا منهاج الله تعالى

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية، شيخ الإسلام، العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث، وتيمية لقب جده الأعلى، ولد بحران سنة: (٦٦١ هـ)، صنف في فنون العلم، ولعل تواليفه وفتاويه في الأصول والفروع والزهد واليقين والتوكل والإخلاص وغير ذلك تبلغ ثلاث مائة مجلدة، منها: الفتاوى، و شرح العقيدة الأصفهانية، توفي سنة: (٧٢٨ هـ). ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، (٧/ ١١، ١٢).

(٢) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (١٣/ ٢٠).

(٣) زيدان، عبدالكريم، **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، (ص: ١٣).

في قرآنه كما حكى في آيات كثيرة"[١]، ومن أبرز خصائص هذه السنن:

١- الربانية:

إن المتأمل لآيات القرآن التي وردت فيها لفظ (السنة) يجد أنها غالبا ما أضيفت إلى الله تعالى، لتؤكد أن مصدر تلك السنن من عند الله، فهي ثابتة لكل زمان ومكان، وهي أمر واقع لا محالة، وقد وردت لفظ (سنة) في القرآن الكريم ستة عشر مرة، حيث جاءت غير مضافة مرة واحدة، وأضيفت إلى الذين من قبل مرتين، وإلى الأولين أربع مرات، أما إلى الله فقد أضيفت تسع مرات، ومن تلك الآيات: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[الفتح:٢٣]، لذلك كان حتما على الناس أن يتعلقوا بموجب هذه السنن، وأن يطمئنوا لمصدرها وهو الله رب العالمين.

٢- الثبات:

من خصائص السنن الإلهية الثبات والدوام، بمعنى أنها لن تتبدل ولن تتحول، قال تعالى: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾[فاطر:٤٣]، جاء في تفسير هذه الآية: أي: "لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنها بالأمم المكذبة من إنزال عذابه بهم بأن يضع موضعه غيره بدلا عنه ولن تجد لسنت الله تحويلا بأن يحول ما جرت به سنة الله من العذاب، فيدفعه عنهم، ويضعه على غيرهم"[٢]، والمتأمل للآية يجد أن الله استعمل أداة النصب (لن) وهي تفيد النفي في الاستقبال، وقد كررها مرتين ليؤكد ثبات سننه في كل جيل، ويعلق ابن تيمية على الآية السابقة فيقول: "وفي الآية دليل على أن هذا من مقتضى حكمته وأنه يقضي في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف فإذا كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون كان هذا موجبا لنصرهم حيث وجد هذا الوصف بخلاف ما إذا عصوا ونقضوا إيمانهم"[٣].

ومن الأدلة القرآنية على ثبات هذه السنن قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن

---

(١) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، دمشق، (٢/ ٩٥٠).

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، (٤/ ٤٠٨).

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **جامع الرسائل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الرياض، (١/ ٥٤).

تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب:٦٢]، قال الرازي[١]:"ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأحكام، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ"[٢].

ويقول سيد قطب: "والأمور لا تمضي في الناس جزافا والحياة لا تجري في الأرض عبثا فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة، ويعلمها للناس، كي لا ينظروا الأحداث فرادى، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصيلة...، فيوجههم دائما إلى ثبات السنن واطراد النواميس، ويوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن واطراد النواميس"[٣].

٣- الاطراد:

كما أن السنن الإلهية ثابتة كذلك هي مطردة، والاطراد بمعنى التتابع، اطرد الشيء اطرادا، إذا تابع بعضه بعضا[٤]، أي أن هذه السنن يتبع بعضها بعضا، ولولا اطرادها لما قص الله علينا أخبار الأمم السابقة، وأمرنا بالاعتبار والاتعاظ بها، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن[٥]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[يوسف:١١١]، وعندما قص الله علينا خبر بني النضير، قال بعدها: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[الحشر:٢]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: "أي فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحل الله بهؤلاء اليهود الذين قذف الله في قلوبهم الرعب وهم في حصونهم من نقمته، واعلموا أن الله ولي من والاه، وناصر رسوله على كل من ناوأه، ومُحِل من نقمته به نظير الذي أحل ببني

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، الملقب فخر الدين، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم، ومنها في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول، وفي أصول الفقه المحصول والمعالم، وغير ذلك، وكانت ولادته سنة: (٤٤٠هـ)، بالري، وتوفي سنة: (٦٠٦هـ) بمدينة هراة. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٤/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢).

(٢) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ، بيروت، (٢٥/ ١٨٤).

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٩٤٩- ٢٩٥٠).

(٤) ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (٣/ ٤٥٥).

(٥) ينظر: ابن تيمية، **جامع الرسائل**، (١/ ٥٥).

النضير"[١]، ويواصل الطبري في تفسير هذه الآية موضحا الأبصار فيها فيقول: "وإنما عنى بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها يكون دون الإبصار بالعيون، فهذا يدل على أن من فعل فعلهم عوقب"[٢]، ومما يدل على اطراد السنن قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٧-١٣٨]، وفي الآية تسلية وبيان للمؤمنين الذين أصيبوا يوم أحد، أن ما جرى لهم قد جرى نحوه على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين[٣].

ويقول صاحب الظلال: "والقرآن الكريم يرد المسلمين إلى الأصول التي تجري وفقها الأمور، فهم ليسوا بدعا في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافا، إنما هي تتبع هذه النواميس..."[٤].

٤- العموم:

مما تمتاز به سنن الله تعالى العموم، فهي عامة على الكل لا تحابي ولا تجامل أحدا قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾[النساء:١٢٣]، فدل على أن الجزاء من جنس العمل، لا بالأماني وغرور الناس بدينهم، "والمعنى أن كل من يعمل سوءا يلقى جزاءه؛ لأن الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف في اتباع بعض الأنبياء وينزل بغيرهم كما يتوهم أصحاب الأماني والظنون"[٥]، وقد جرت جرت سنته أن ثوابه للطائع، وعقابه للعاصي، مهما وصلت مكانة الإنسان، وخير دليل في ذلك ما حصل لصحابة رسول الله -ﷺ- يوم أحد، يقول المراغي[٦] في تفسيره: "مشيئة الله في خلقه تسير

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (٢٣/ ٢٦٦).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٣/ ٢٦٦).

(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ١٢٦).

(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٧٨).

(٥) رضا، **تفسير المنار**، (٥/ ٣٥٤).

(٦) هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة: (١٩٠٩م)، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، له كتب، منها: (الحسبة في الإسلام)، و (الوجيز في أصول الفقه)، و (تفسير المراغي)، توفي بالقاهرة سنة:

على سنن حكيمة من سار عليها ظفر وإن كان ملحدا أو وثنيا، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقا أو نبيا، وعلى هذا فلا عجب أن ينهزم المسلمون في وقعة أحد"[١] ويختم المراغي حديثه بقوله: "والخلاصة إن النظر في أحوال من تقدمكم من الصالحين والمكذبين يهديكم إلى الطريق المستقيم، فإن أنتم سلكتم سبيل الصالحين فعاقبتكم كعاقبتهم، وإن سلكتم سبيل المكذبين فحالكم كحالهم"[٢].

وإن الناظر في كتاب الله تعالى يجد أن من ادعى خلاف هذه السنن أو أنه مستثنى منها، فسرعان ما يأتي الرد القرآني ببطلان ذلك، فمثلا عندما ادعى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، وعملهم خلاف ما يدعون، أبطل الله ذلك فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة:١٨]، وكذلك عندما زعمت عاد أنهم غير معذبين فقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[الشعراء:١٣٨]، قال الله بعدها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:١٣٩]، فاستحقوا العذاب لتكذيبهم ومخالفتهم سنن الله تعالى.

ومما سبق يتبين أن الأسباب المتماثلة تؤدي إلى نتائج متماثلة، كما قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[الزُّمَر:٥١]، فسنن الله عامة تجري على الكل ولا تجامل أحدا، فمن عمل بها نجا، ومن خالفها هلك، وذلك مقتضى العدل الرباني.

٥- متحققة في الدنيا قبل الآخرة:

أي أن نتائج هذه السنن تظهر في الدنيا قبل الآخرة، فإذا رجعنا إلى كتاب الله تعالى ووقفنا على السنن المذكورة فيه تبين لنا ذلك، كسنة النصر والتمكين، وسنة الإهلاك، وسنة التغيير، وسنة الاستدراج، وسنة الابتلاء، وسنة التدافع، وسنة النعم وغيرها من السنن، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا

(١٣٧١ هـ). ينظر: الزركلي: **الأعلام**، (١/ ٢٥٨).

(١) المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م، مصر، (٤/ ٧٦).

(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٤/ ٧٦).

ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[النور:٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾[الكهف:٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾[الرعد:١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة:٢٥١].

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[النحل:١١٢].

هذه جملة من الآيات التي تدل على أن نتائج السنن متحققة في الدنيا قبل الآخرة، وهي كثيرة لا يتسع المقام لذكرها كلها ولكن يكفينا ما ذكرنا.

ونستخلص مما سبق، أن خصائص السنن:

١- ربانية، أي مصدرها الله تعالى.

٢- ثابتة لكل زمان ومكان.

٣- مطردة، أي متتابعة يتبع بعضها بعضا.

٤- عامة لا تحابي ولا تجامل أحدا.

٥- نتائجها متحققة في الدنيا قبل الآخرة.

هذه جملة من أوصاف السنن الإلهية والتي على ضوئها يتبين لنا أهمية دراسة السنن، وهو موضوع مطلبنا القادم بمشيئة الله تعالى.

المطلب الثالث: أهمية دراسة السنن الإلهية.

من خلال ذكرنا لخصائص السنن يتبين لنا أهميتها، فقد دلت الأدلة على أهمية دراسة السنن الإلهية، وحث القرآن عليها في آيات كثيرة، وثبت اعتناء المفسرين بها، سواء المتقدمين أو المتأخرين، إلا أنك عندما ترجع إلى التفاسير تجد أن اهتمام المتأخرين بها أكبر، إذ يرون أن ذلك علم ينبغي أن يستقل بذاته، يقول صاحب تفسير المنار: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه"(١)، وقد عد صاحب إحياء علوم الدين علم السنن من العلوم المحمودة فقال: "وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم"(٢).

وتكمن أهميتها في أنها تعد فريضة شرعية وضرورة بشرية، فريضة شرعية إذ حث القرآن الكريم عليها وأمر بالسير والنظر والتأمل في مواضع كثيرة، وما يدعو القرآن الكريم إلا لأمر عظيم وكبير، وقولنا ضرورة بشرية: حتى تتخلص الأمة من نكبتها ومن دواعي الغفلة التي ألمت بها، وتخرج من دائرة التبعية فتستقل بنفسها وتعمل بأسباب التقدم والازدهار لترتقي وتسود كما ساد أوائل هذه الأمة، ولذلك فإن الوقوف على معرفة سنن الله ودراستها أمر لا بد منه للأمة الإسلامية وذلك حتى يستفيدوا منها، ولا يصطدموا بها.

ومما تقدم يتضح لنا أن دراسة ومعرفة السنن الإلهية كان محل عناية المفسرين وبالأخص المتأخرون منهم، ومن أتى بعدهم من المفكرين الإسلاميين، ثم إن المسلم إذا عرف هذه السنن

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، (٤/ ١١٤).

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت، (١/ ٣٩).

استطاع أن يقرأ المستقبل من خلال الواقع، فالإنسان يعرف أن النتائج لها أسباب، فإذا وجدت الأسباب تلمس نتائجها من ورائها بناء على السنن والنواميس التي وضعها الله تعالى في هذا الكون، وفي تلك المجتمعات، ويمكن إجمال القول عن أهمية دراسة السنن الإلهية في نقاط يسيرة نذكر أهمها:

١- أن دراسة السنن الإلهية من الدين، فمعرفتها معرفة جزء من الدين، وهذه المعرفة ضرورية تستلزم من المسلم الإحاطة بها، فهي تبصرنا بالطريق السوي لنسلكه، وتحذرنا من طرق الغواية والضلال فنجتنبها[١]، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]، قال ابن مسعود -رضي الله عنه- في تفسير هذه الآية: "قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء"[٢]، ولا شك أن علم السنن الإلهية من هذه العلوم بل من أجلها وأعظمها نفعا، كيف وهي تتعلق بالله، ثم إن نفعها لا يعود على الفرد وحده بل على الأمة بأسرها، ولما ذكر ابن كثير أقوال المفسرين في هذه الآية قال بعدها: "وقول ابن مسعود: أعم وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم"[٣].

وقال ابن عاشور[٤] في تفسيره: "و «كل شيء» يفيد العموم إلا أنه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع: من إصلاح النفوس، وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني...، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم"[٥].

---

(١) ينظر: زيدان: **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات**، (ص: ١٦).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٥٩٤).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٥٩٤- ٥٩٥).

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة: (١٢٩٦هـ)، وعين (عام ١٩٣٢م) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي سنة: (١٣٩٣ هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٦/ ١٧٤).

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٤/ ٢٥٣).

وقال صاحب روح المعاني: "والمراد من كل شيء على ما ذهب إليه جمع ما يتعلق بأمور الدين أي بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بذلك ومن جملته أحوال الأمم من أنبيائهم عليهم السلام"(١).

ومما سبق يتبين لنا أن علم السنن الإلهية من الدين وهو داخل تحت عموم الآية السابقة.

٢- النظر والتأمل في عاقبة المكذبين والمخالفين لسنن الله.

النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾[ق:٣٧]، فمن خلال التأمل في قصص السابقين بصفة عامة، وقصص المكذبين بصفة خاصة نستطيع تحليل الأحداث منها، وكذلك نستطيع أن نفهم التاريخ، فالتاريخ يشبه بعضه بعضا، وكما يقال ما أشبه الليلة بالبارحة، فما حدث بالأمس سيحدث هذه الأيام، وهو ما قصده القرآن الكريم بقوله: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١٤٠]، وقد ذكرنا سابقا أن السنن ثابتة لكل زمان ومكان لا تتبدل ولا تتحول، وقد حث القرآن الكريم في مواضع كثيرة على النظر والتأمل والسير في الأرض؛ لنقرأ حالهم قراءة متقنة فنتعظ ونعتبر مما جرى لهم؛ لكيلا يصيبنا ما أصابهم، وكما يقال العاقل من اتعظ بغيره، جاء في تفسير المنار "والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن سجل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها"(٢)، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام:١١]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[النمل:٦٩]، وقال سبحانه: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧]، والسير في الأرض حسي ومعنوي يكون بالسير الحقيقي كما يكون بالنظر في كتب التاريخ، قال ابن عرفة(٣): "الآية دالة

---

(١) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، بيروت، (٧/ ٤٥٢).

(٢) رضا، **تفسير المنار**، (٤/ ١١٤).

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، إمام علامة، ولد بتونس سنة: (٧١٦هـ)، برع في الأصول، والفروع، والعربية، والمعاني، والبيان، والقراءات، والفرائض، والحساب، وكان رأسا في العبادة والزهد والورع، ملازما للشغل بالعلم، وله مؤلفات مفيدة، منها: تفسير ابن عرفة، كانت وفاته سنة: (٨٠٣هـ). ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

على وجوب النظر، والسير في الأرض إما حسي وإما معنوي بالنظر في كتب التواريخ المتعددة، بحيث يحصل للناظر فيها العلم، أو ما يقرب منه وهو أولى"[١]، وما أمر الله الناس بالسير في الأرض إلا من أجل التعرف على سننه التي قد خلت من قبل، فيحصل بذلك الاعتبار وهو المراد من الآيات.

٣- دراسة السنن وفهمها يساعدنا في معرفة الواقع الذي نعيشه.

فما يحصل للمسلمين اليوم ما هو إلا نتيجة جهلهم بهذه السنن وبعدهم عنها، فمثلا لما تخلفوا عن أسباب النصر هزموا، فالتعرف على سنن الله تعالى يساعد في تفسير الظواهر والأحداث التي تعصف بالأمة، فمن اتبع هذه السنن أفلح وفاز، ومن حاد عنها ضل وخسر، و"إن من تعرّف على هذه السنن أمكنه تسخيرها لمصالحه والإفادة منها في تيسير سبل العيش وإحراز التقدم المادي، بغضّ النظر عن معتقده وسلوكه، وذلك بمقدار ما يشاء الله ويخص بذلك من يريد"[٢].

٤- تجعل المؤمنين يثقون بنصر الله إن هم عملوا بأسباب النصر، وأنه كما نصر أولياءه السابقين قادر على نصرهم وتأييدهم، فقد نصرهم ببدر وهم قلة قليلة بالنسبة لعدد المشركين، كذلك يوم الأحزاب، وفي مواطن كثيرة، وما ذلك إلا لأخذهم بأسباب النصر، ولكن لما عطلوا هذه الأسباب ووقعوا في المخالفة يوم أحد هزموا، فمن عمل بسنة النصر انتصر، ومن خالفها هزم، ونحن أمة موعودة بالنصر والتمكين في الأرض، وهذا النصر والتمكين لن يأتي والأمة في غفلتها وتقاعسها وتعطيلها للأسباب، فمتى صحت من غفلتها وأخذت بأسباب النصر تحقق لها ذلك وفق سنة الله في خلقه، وهذا يتبين لنا من خلال دراسة السنن وفهمها فهما صحيحا.

ودائما سنن الله تعالى تبين وتؤكد أن الغلبة والعاقبة للمتقين وما يحصل لهم اليوم من تقلبات وخسائر إنما هو تمحيص وابتلاء، والآيات في ذلك كثيرة وسنذكر بعضا منها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، (١/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(١) ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة، **تفسير ابن عرفة**، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م، (١/ ٤١٥).

(٢) مسلم، مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، (ص: ١٦٤).

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[المجادلة:٢١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[غافر:٥١]، وغيرها من الآيات التي تؤكد أن الغلبة والعزة للمؤمنين.

٥- تدعو إلى التغيير وإصلاح المجتمع.

لما نعلم علم اليقين أن الله لن يصلح حال الأمة الإسلامية اليوم إلا إذا غيرت من حالها ورجعت وأنابت إلى الله، نعلم أن ذلك يقودها إلى الصحوة والبعد عن سبات الغفلة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[الرعد:١١]، ولك أن تنظر إلى قوم يونس -عليه السلام- فإنهم لما غيروا وتابوا تاب الله عليهم، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس:٩٨]، قال قتادة[١] في تفسير هذه الآية: "لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب، فتركت، إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة، فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم"[٢]، وكذلك حال الناس اليوم إن هم رجعوا وتابوا فإن الله سيغير حالهم إلى الأفضل، وسيزيدهم من فضله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:٩٦]، فمتى ما حققنا الإيمان والتقوى؛ تغير حالنا إلى الأحسن بإذن الله.

٦- أنها باعثة على نيل الرحمة: حيث تكون سببا في نيل رحمة الله وهدايته وتوبته على عباده، فإرسال الرسل سنة وهي رحمة بالعباد، وحث القرآن على التأمل في حال الأولين حتى لا يصيبنا ما أصابهم رحمة كذلك، وتتجلى تلك الرحمة بدعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ

---

(١) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو السدوسي البصري، تابعيا وعالما كبيرا، كان أجمع الناس، وكان من أنسب الناس، كانت ولادته سنة ستين للهجرة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل ثماني عشرة، رضي الله عنه. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٤/ ٨٥).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٢٩٧).

سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:٣٨].

ونختم حديثنا عن أهمية دراسة ومعرفة السنن بكلام سيد قطب إذ يقول: "إن هنالك سننا ثابتة لهذا الكون يملك الإنسان أن يعرف منها القدر اللازم له، حسب طاقته وحسب حاجته، للقيام بالخلافة في هذه الأرض، وقد أودعه الله القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها"[١].

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ١١١٩).

المطلب الرابع: أنواع السنن الإلهية:

عندما نتحدث عن أنواع السنن الإلهية يجب ألا يخفى علينا أن مصدر هذه الأنواع واحد هو الله تبارك وتعالى، هو من يدبرها ويجريها وفق حكمته ومشيئته، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[الفرقان:٢]، وكلها وجدت لمصلحة الإنسان وخدمته، وبالنظر إلى كتاب الله تعالى والتأمل فيه، نجد أن السنن الإلهية تنقسم إلى قسمين، سنن كونية مادية، وسنن اجتماعية تختص بالبشر، والسنن الاجتماعية كثيرة ومتنوعة، ممكن تقسيمها كذلك إلى قسمين: منها ما يتعلق بأنبياء الله وأوليائه، ومنها ما يتعلق بأعداء الله، وإليك تفصيل ذلك:

أولًا: السنن الكونية المادية:

ونعني بها جميع ما سنه الله تعالى في هذا الكون، بحيث يدخل فيها الإنسان وغير الإنسان، وهي ما قصدها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَ لَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[فُصِّلَت:٥٣]، "والمراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء والظلال والظلمات ....، وقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١]"[(١)].

وذكرها صاحب كتاب السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات أنها (الوجه الأول)، ثم عرفه فقال: "هو الذي تخضع له جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع له كيان الإنسان المادي وما يطرأ عليه مثل نموه وحركة أعضاءه ومرضه وهرمه ولوازم بقائه حيا ونحو ذلك"[(٢)].

ثانيًا: السنن الإلهية الاجتماعية:

ويعنى بها السنن التي يختص بها البشر دون غيرهم، سواء كانوا أفرادا أو أمما أو جماعات، والذي يتدبر القرآن يجد أن الآيات التي وردت فيها لفظ (سنة) كلها تتحدث عن هذا النوع، سواء كان أصحابها أولياء أو أعداء.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٢٧/ ٥٧٣).

(٢) زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات**، (ص: ٧).

وعند التدبر لكلام المولى يتبين لنا أن السنن المادية والاجتماعية يشتركان في أمور، ويفترقان في أمور، فمن الأمور التي يشتركان فيها:

١- المصدر: أي إن مصدرهما واحد هو الله تعالى مالك الملك، من بيده ملكوت كل شيء، فمثال مصدر السنن المادية قوله تعالى عن سنة الشمس: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[يس:٣٨]، فبين أنها تجري وفق حكمته ومشيئته، أما عن السنن الاجتماعية فقد بينا سابقا أن من خصائصها الربانية.

٢- كلا النوعين دعا القرآن الكريم إلى التأمل والتفكر فيهما فقال عن الأولى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[يونس:١٠١]، وقال سبحانه: ﴿أَوَ لَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾[الروم:٨]، وقول الرسول -ﷺ- كما في حديث عائشة -رضي الله عنها-: «لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾» الآية كلها [آل عمران: ١٩٠][(١)]، فدلت النصوص على أهمية النظر والتفكر في سنن هذا الكون، كما أنه ينبغي أن يحيى ذكر الله عند رؤيتها كما جاء في الحديث الذي رواه ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي -ﷺ-: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله»[(٢)]، "وفيه تصريح بأن جميع آيات الكون تجري على نظام واحد، لا يقضي فيه إلا العناية الأزلية على السنن التي أقامته عليها"[(٣)].

وقال عن الثانية: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب التوبة، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (٢/ ٣٨٧، رقم: ٦٢٠)، قال المحقق (الأرنؤوط): إسناده صحيح على شرط مسلم، ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (٢/ ٣٨٧)، وقال الألباني: إسناده جيد، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مكتبة المعارف ، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م، (١/ ١٤٧، رقم: ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٠٨، رقم: ٣٢٠٢).

(٣) زكي، رمضان خميس، **مفهوم السنن الربانية**، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٧- ٢٠٠٦م، القاهرة، (ص:١٠).

قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[الأنعام:٦] وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾[محمد:١٠]، وقد ذكرنا سابقا أن من خصائص السنن الاجتماعية الاطراد ولولا اطرادها لما قص الله علينا أخبار السابقين وأمرنا بالاتعاظ والاعتبار بها، فدلت الآيتين – وغيرهما كثير – على ضرورة النظر والتأمل في حال السابقين.

٣- كما أنهما تتميزا بالثبات، قال سبحانه:﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣]، قال ابن تيمية "وهذه الآية عمت سنته في خلقه وأمره في الطبيعيات والدينيات"(١)، ولكن السنن الطبيعية قد يحصل لها نوع من الخرق ولا يعنى أنها ليست ثابتة، بل هي ثابتة، ومما يدل على ثباتها أن القرآن الكريم دعا في آيات كثيرة إلى التفكر فيها، ولولا ثباتها لما صح لفت النظر إليها واعتبارها من آيات الله(٢)، ولكن الخرق إنما هو أمر نادر يؤيد الله به من يشاء من عباده معجزة لهم وحتى يكون حجة على الناس، "ويتساءل كثير من الناس هل المعجزات ضرورية؟ والجواب أنها ضرورية لإيمان الإنسان بقدرة الله، ولولاها لساد مذهب الطبيعيين، لأن سنن الله لا تتغير أبدا وهذا ما يسمى (بالطبيعة) وثبات هذه القوانين ما ظهر منها وما خفى للآن شيء مدهش، حتى إن الإنسان قد ينسى واضع هذه القوانين، ويقول ما الحاجة بي لأن أقول إن هناك صانعا أزليا ما دامت هذه القواعد ثابتة على وتيرة واحدة ملايين السنين؟ وهنا كانت حكمة الله في أن يخرق هذه السنن ليظهر للناس أن الصانع الأول موجود"(٣).

وبعد ذكرنا للأمور المشترك فيها، نأتي الآن إلى بيان بعض الفروق التي تفترق فيها السنن المادية عن السنن الاجتماعية، حيث أنك تجد فروقا واضحة تميز كل منهما عن الأخرى ومن ذلك:

١- أن السنن الكونية المادية قد يخرقها الله لبعض عباده، فمثلا سنة الله في النار الإحراق إلا أن الله تعالى خرقها لنبيه إبراهيم عليه السلام، وسنة الله في الماء الإغراق إلا أن الله خرقها لنبيه موسى عليه السلام، كذلك الشمس تجري لمستقر لها إلا أن الله أوقفها لعبده يوشع، ومنها إحياء الموتى

---

(١) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، (١/ ٥٤).

(٢) ينظر: زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات**، (ص: ٩).

(٣) المراغي، **تفسير المراغي**، (٣/ ١٦٣).

وغيرها، وقد بين ذلك ابن تيمية في كتابه جامع الرسائل فقال: "فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاءه من الحكم كما حبس الشمس على يوشع، وكما شق القمر لمحمد ﷺ، وكما ملأ السماء بالشهب، وكما أحيا الموتى غير مرة، وكما جعل العصا حية، وكما أنبع الماء من الصخرة بعصا، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ"(١).

أما بالنسبة للسنن الإلهية الاجتماعية فلم يخرقها الله لأحد من عباده، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لأحد كائن من كان، بل يجب العمل بالأسباب للحصول على النتائج، فالأسباب المتماثلة تؤدي إلى نتائج متماثلة.

الفرق الثاني: السنن الكونية المادية إجبارية ليس للمخلوقات فيها أي اختيار، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾[يس:٤٠]، أضف إلى ذلك أن منها ما يتم بأمر كن مثل ما خلق الله عيسى –عليه السلام– من غير أب، خلافا لسنته في خلقه أن يخلقهم من أم وأب فقال سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩].

بينما السنن الاجتماعية الإنسان فيها مخير، فمثلا من عمل بأسباب النصر انتصر ومن عمل بأسباب الهزيمة هزم وهكذا، ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:٤].

ولذلك فإن "السنن الربانية لا تفرض على الإنسان سلوكا بعينه، إنما تقول له إنه إذا اختار كذا فالنتيجة الحتمية لهذا الاختيار هي كذا، فهي تدع له حرية الاختيار، ولكنها ترتب نتيجة معينة، ثابتة لا تتغير، على الاختيار الحر الذي يختاره، وهي من ثم تكرّم الإنسان إذ تدع له حرية الاختيار، وتتعامل في الوقت ذاته مع العنصر " الإنساني " فيه – وهو الوعي والإرادة والحرية – فتقول له إنه مسئول عن عمله، وعن النتائج التي تترتب على عمله، لأنه اختاره بوعي وإرادة وحرية: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٧–١٠]"(٢).

الفرق الثالث: السنن المادية تجري وفق رؤية منتظمة قدرها الله تعالى لها، بمعنى نتائجها متحققة مشاهدة، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[يس:٤٠]، كذلك السنن الاجتماعية، إلا أنها بطيئة قد لا تتحقق إلا بعد فترة طويلة إلى

---

(١) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، (١/ ٥٢).

(٢) قطب، محمد قطب إبراهيم، **التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**، (ص: ٥٩).

أن تصل إلى نتائجها، "ولأن السنن الاجتماعية بطيئة فى تحققها، وقد تستغرق مئات السنين حتى يتكامل مفعولها، فإن كثيرا من الطغاة لا يدركونها حين لا تتحقق في أعمارهم المحدودة، فيحسبون أنهم ناجون من آثارها...، فيستغرقون في الترف غير ناظرين إلى النتائج، فيقول الله لهم: ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾! انظروا كيف كانت مصاير من كان قبلكم، فالتاريخ هو معرض تحقق السنن الاجتماعية الطويلة الأمد، التي تتجاوز أعمار الأفراد ...، ولكن الطغاة – خلال التاريخ – لا يعتبرون! وكل واحد منهم يظن أنه حالة فريدة غير مسبوقة، لا تنطبق عليها أحوال السابقين"(١).

الفرق الرابع: السنن الكونية المادية أعم من السنن الاجتماعية، فالأولى يدخل فيها الإنسان وغير الانسان، من سماوات وأرض وكواكب ومجرات، أما الثانية فتختص بشؤون البشر مؤمنهم وكافرهم.

وكما أشرنا سابقا بأن السنن الإلهية الاجتماعية كثيرة ومتنوعة، ومن خلال الآيات التي وردت فيها لفظ (سنة) ممكن تقسيم السنن الاجتماعية إلى:

١- سنة الله تعالى في أنبيائه وأوليائه الصالحين، فمثال ما يتعلق بالأنبياء قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾[الإسراء:٧٧]، ومثال ما يتعلق بأوليائه الصالحين قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[النساء:٢٦]، "أي يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم"(٢).

٢- سنة الله تعالى في إهلاك المكذبين، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:٣٨]، أي: "فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم، أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة"(٣).

وهذه السنن – كما يقول ابن تيمية– "كلها سنن تتعلق بدينه وأمره ونهيه ووعده ووعيده وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من

---

(١) قطب، محمد قطب إبراهيم، **لا يأتون بمثله**، (ص: ١٥٢).
(٢) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (١/ ٥٠١).
(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٥٥).

العادات"[١].

ومما سبق يتلخص لنا أن السنن نوعان مادية واجتماعية، والثانية منها ما يتعلق بالأنبياء والصالحين، ومنها ما يتعلق بأعدائهم.

(١) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، (١/ ٥٢).

الفصل الثاني: سنة الابتلاء، وسنة النصر وفيه مبحثان:

المبحث الأول: سنة الابتلاء، وأنواعه، وآثاره.

المبحث الثاني: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

المبحث الأول: سنة الابتلاء، وأنواعه، وآثاره، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : سنة الابتلاء للمؤمنين.

المطلب الثاني : أنواع الابتلاء.

المطلب الثالث : آثار الابتلاء، والوسائل التي تعين على تجاوزه.

المطلب الأول: سنة الابتلاء للمؤمنين:

ما يمر به المؤمنون من منعطفات خطيرة خصوصا في مثل هذه الأيام تجعلنا نقف وقفة تأمل مع هذه السنة؛ لنثبت على مبادئنا الإسلامية الخالدة؛ وحتى نصل إلى ما نرجو إليه من النصر على الأعداء، وإقامة شرع الله كما أمر الله، وموضوع بحثنا سورة الأحزاب ولذلك سنتحدث عن السنن المذكورة في السورة مبتدئين بسنة الابتلاء، ولا شك أن الابتلاء يكون للمؤمنين كما يكون للكافرين، وقد ذكرنا سابقا أن من خصائص السنن العموم، فسنة الابتلاء عامة لا تستثني أحدا مؤمنا كان أم كافرا، وسنقصر الحديث هنا عن ابتلاء الله للمؤمنين، موضحين منهج القرآن في الابتلاء، وقد وردت آيات كثيرة تبين أن الابتلاء سنة، وأن نتائجه ليست في الدنيا فقط، وإنما في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران:١٤٨].

ونحن أمة موعودة بالنصر والتمكين، ولكن لا يمكن أن نمكن في الأرض إلا بعد ابتلاء وتمحيص، فالمؤمنون يهيئون للتمكين بالابتلاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]، وسأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله، أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى، فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم[1]، فلابد من الابتلاء حتى نمكن في الأرض، ويجب أن نتنبه أن بعد النصر والتمكين يستمر الابتلاء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[الحج:٤١]، فهذه أمور أربعة شرط للنصر، وشرط لاستمرار التمكين بعد النصر، فما معنى الابتلاء؟ وما حقيقته؟ وهل هناك فرق بين الابتلاء والفتنة والتمحيص؟ وهل هو اختبار أم عقاب، وكيف نميز بينهما؟ وأيهما أشد بلاء الغني أم الفقير؟ وما صور البلاء الذي واجهه المؤمنون في غزوة الخندق؟ وما واجبنا تجاه سنة الابتلاء؟ أسئلة نحاول من خلال هذا المطلب الإجابة عنها –بمشيئة الله تعالى– مبتدئين بمعنى الابتلاء.

---

(١) ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **الفوائد**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م، (ص: ٢٠٨).

١- معنى الابتلاء:

الابتلاء في لغة العرب: معناه الاختبار، قال ابن فارس: "قولهم بلي الإنسان وابتلي، هذا من الامتحان، وهو الاختبار، ويكون البلاء في الخير والشر، والله تعالى يبلي العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا"(١)، و"لأن الابتلاء امتحان فيمتحن الله عباده بالخير ليشكروا، وبالشر ليصبروا"(٢)، وقد يأتي البلاء بمعنى الفتنة قال صاحب كتاب تهذيب اللغة: "جماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله جل وعز: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾[الذاريات:١٣]، أي يحرقون بالنار"(٣)، وقال الرازي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾[البروج:١٠]: "أصل الفتنة الابتلاء والامتحان"(٤).

وقد يأتي بمعنى التمحيص قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٤١]، قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "الابتلاء والتمحيص هما واحد"(٥)، وقال تلميذه مجاهد: "هو بمعنى: الابتلاء"(٦).

مما سبق يتبين لنا أن الابتلاء والفتنة والتمحيص بمعنى واحد هو: الاختبار والامتحان.

٢- الابتلاء لابد منه:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[العنكبوت:١-٣]، ويقول –ﷻ–: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ

---

(١) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (١/ ٢٩٣).

(٢) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، (١/ ٣٤٧).

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (١٤/ ٢١١).

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٣١/ ١١٣).

(٥) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (٢/ ٥١٢).

(٦) السمعاني، **تفسير القرآن**، (١/ ٣٦٢).

وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة:٢١٤]، ويقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد:٣١].

كل هذه الآيات وغيرها كثير تبين أن الابتلاء لا بد منه، وأنه سنة الله تعالى في عباده، وما وجدنا في هذه الحياة إلا من أجله، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾[المُلك:٢]، وما دام أن الابتلاء مصير الجميع وأنه لا مفر منه، يجب علينا جميعا الاستعداد له، وهذا من رحمة الله بنا حتى لا نفجع به، ونكون دائما في أتم الاستعداد له في الشدة والرخاء.

٣- حقيقة الابتلاء:

ابتلاء الله للمؤمنين يكون بالخير والشر، بالنعم والنقم، بالسرآء والضرآء، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[الأنبياء:٣٥]، أي "نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من النعم، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر"(١)، ومن أمثلة البلاء بالشر قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥]، فكل ما ذكر في الآية بلاء شر، ومن أمثلة البلاء بالخير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف:٧]، فبلاء الشر يحتاج إلى صبر، وبلاء الخير يحتاج إلى شكر، والابتلاء للمؤمن في كل الأحوال خيرا له، جاء في الحديث عن صهيب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»(٢)، وهنا يظهر منهج الإسلام في التعامل النفسي للشخص المبتلى، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة"(٣)، وهذا عندما يعلم المؤمن حقيقة البلاء وأنه في كل الأحوال خير له، ولذلك جاءت الأحاديث التي تشير أن عظم الجزاء يوم

---

(١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (٣/ ١١٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، مسلم، **صحيح مسلم**، (٤/ ٢٢٩٥، رقم: ٢٩٩٩).

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م، (ص: ٤٨).

القيامة يكون مع عظم البلاء، وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لا يزال البلاء بالمؤمن – أو المؤمنة – في جسده، وماله، وولده، حتى يلقى الله -ﷻ- وما عليه من خطيئة»[١]، وهذا دليل على أن البلاء من رحمة الله تعالى على عباده المؤمنين حيث يبتليهم بالمصائب ليعودوا وينيبوا إليه، فتغفر ذنوبهم وتكفر سيئاتهم وترفع لهم الدرجات.

إلا أن غالب الناس يصرفون البلاء إلى الشر، وأنه عقاب من الله على العبد، حتى إذا ما نزل بالمؤمن مصيبة قالوا هذا بسبب ذنوبه، أو لأنه فعل كذا وكذا، والمنهج القرآني يبين لنا أن كلمة البلاء تكون في الخير وتكون في الشر، في العسر واليسر، "ومن ظن أن شدة البلاء هوان بالعبد فقد ذهب لبه وعمي قلبه فقد ابتلي من الأكابر ما لا يحصى، ألا ترى إلى ذبح نبي الله يحيى بن زكريا، وقتل الخلفاء الثلاثة، والحسين، وابن الزبير، وقد ضرب أبو حنيفة وحبس ومات بالسجن، وجرد مالك وضرب بالسياط وجذبت يده حتى انخلعت من كتفه، وضرب أحمد حتى أغمي عليه وقطع من لحمه وهو حي إلى غير ذلك"[٢]، ولكن مع ذلك كيف نعرف أن هذا البلاء النازل اختبار أو عقاب؟ وكيف نميز بينهما؟ سنجيب عن ذلك –بمشيئة الله– في الفقرة القادمة.

٤- الابتلاء اختبار أم عقاب؟

الابتلاء قد يكون اختبارا كما جاء في حديث مصعب[٣] بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما

---

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند أبو هريرة رضي الله عنه، ابن حبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (١٥/ ٥٠٤ رقم: ٩٨١١)، وصححه الحاكم في مستدركه، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، كتاب الجنائز، الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، (١/ ٤٩٧ رقم: ١٢٨١).

(٢) المناوي، زين الدين محمد، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، (١/ ٥١٩).

(٣) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، تابعي، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ثلاث ومائة، ينظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، (٥/ ١٢٩).

يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة»[١]، وقد يكون عقابا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[الشورى:٣٠]، فكيف التمييز بينهما، وكيف يمكن معرفة الاختبار من العقاب؟ والجواب أن ننظر إلى الحال الأعم للشخص المبتلى فإن كان من أهل الصلاح فهو اختبار، فالله يريد أن يطهره من ذنوبه ويرفع له به الدرجات، وإن كان من أهل الفسق والفجور فهو عقاب، ولعل سائلا يسأل فيقول: والذي خلط الأمرين، أي: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ اختبار أم عقاب؟ فهو اختبار لعله يرجع، قال سبحانه: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[الأعراف:١٦٨]، جاء في تفسير هذه الآية: "أي وامتحناهم واختبرنا استعدادهم بالنعم التي تحسن في عيونهم وتقر بها أفئدتهم، وبالنقم التي تسوءهم وإن كانت قد تحسن بالصبر عاقبتها لديهم، رجاء أن يرجعوا عن ذنبهم، وينيبوا إلى ربهم، فيعود إليهم فضله ورحمته"[٢].

٥- أيهما أصعب الصبر على البلاء (المصيبة)، أم الشكر على الرخاء (النعم)؟

في كلا الحالتين نحن مكلفون بالصبر على بلاء الشر وبالشكر على بلاء الخير، وكلاهما أمرنا الله تعالى بهما، لكن ما الأصعب الصبر على البلاء أم الشكر على الرخاء؟ والجواب أن الشكر على الرخاء يكون أصعب من الصبر على البلاء، أي أن القيام بحقوق الشكر أصعب من القيام بحقوق الصبر، لماذا؟

١- لأن الذي يصاب بمصيبة ليس أمامه خيار غير الصبر فيصبر رغما عنه، فهو في اختبار واحد، بينما صاحب الرخاء يفتتن بكثرة من النعم، وبالتالي يصعب عليه شكر النعم التي تحوطه من كل جانب، فيكون معرضا لمجموعة من الاختبارات، كالفساد في الأرض،

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه، أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (٥/ ١٥٢ رقم: ٤٠٢٣)، ورواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ينظر: الترمذي: محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، (٤/ ٦٠١ رقم: ٢٣٩٨)، وقال الألباني: حسن صحيح، الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن ابن ماجة**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (٩/ ٢٣، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٩/ ٩٩).

والغرور، والفواحش، والبخل، والانشغال بالدنيا، والركون إليها، وترك الطاعات، إلى غير ذلك.

٢- ولأن العبد في حالة الرخاء يقسو قلبه من كثرة رغد العيش ومن كثرة النعم التي تحيط به، وبالتالي يكون حاله حال دنيوي، بعيد عن الآخرة، فيصعب عليه تذكر الموت والآخرة؛ لأنه منشغل فيما هو فيه، أما المبتلى بالمصيبة فإنه يكون رقيق القلب منكسر الخاطر ذليلا بسبب ما حل به، وبالتالي يكون حاله حال أخروي، قريبا من الآخرة سرعان ما يتأثر إذا ذكر الله ﷻ، لذلك كان إقبال الصابر على الله تعالى أسهل بكثير من إقبال الشاكر، وهذا ما يجسده الحديث الشريف، «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم»[(١)]، وفي الحديث إشارة إلى أن الفقر يصبر عليه، لكن إقبال الدنيا على العبد قد تطغيه، وهذا ما يؤكده قول عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه-:«ابتلينا مع رسول الله -ﷺ- بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر»[(٢)].

ويقول سيد قطب: "والابتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، فالشدة تستثير عناصر المقاومة وقد تذكر صاحبها بالله- إن كان فيه خير- فيتجه إليه ويتضرع بين يديه، ويجد في ظله طمأنينة، وفي رحابه فسحه، وفي فَرَجه أملا، وفي وعده بشرى...، وأما الابتلاء بالرخاء فالذين يصبرون عليه قليلون، فالرخاء ينسي، والمتاع يلهي، والثراء يطغي، فلا يصبر عليه إلا الأقلون من عباد الله"[(٣)]، ويقول صاحب كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: "اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصار المنحة والمحنة جميعا بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، البخاري، **صحيح البخاري**، (٨/ ٩٠، رقم: ٦٤٢٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، الترمذي، **سنن الترمذي**، (٤/ ٦٤٢، رقم: ٢٤٦٤)، وقال الألباني: حسن الإسناد، الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (٥/ ٤٦٤، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٣/ ١٣٣٧).

الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين"[١].

٦- تفاوت درجات البلاء:

البلاء ليس درجة واحدة وإنما درجات، فكلما قوي إيمان العبد كان بلاؤه أكثر «يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه»[٢]، وكلما كثرت النعم كلما أشتدت وطأة البلاء على العبد المنعم عليه، فالغرم بالغنم، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر، فبلاؤه أشد، والسبب في ذلك أن الله أنعم عليهم بالإيمان والمعرفة وحسن التصرف، فلأنهم حملة الحق، وحملة الرسالة، ولأنهم مصلحون، فسوف يتعرضون للفتنة والبلاء، ودائما المصلحون والداعون إلى الهدى محاربون في المجتمعات وهذه سنة الأنبياء وأتباعهم على مر العصور والدهور، فيشتد البلاء على الصالحين، "لتتضاعف أجورهم، ولتتكامل فضائلهم، وليظهر صبرهم ورضاهم للناس فيقتدئ بهم، ولئلا يفتتن الناس بدوام صحتهم فيعبدوهم"[٣] فلأجل هذه المعطيات يشتد البلاء على الصالحين.

٧- سنة الابتلاء من خلال سورة الأحزاب:

بعد هذه الجولة القصيرة عن الابتلاء نأتي إلى بيان هذه السنة من خلال سورة الأحزاب وبالتحديد آيتي(١١) و (١٢).

قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[الأحزاب:١٠-١١].

كما هو معلوم أن الآيتين من ضمن الآيات التي نزلت لتقرر ما حدث بشأن غزوة الخندق، وفيها يصف الله -ﷻ- حال المؤمنين وما حل بهم من الشدائد والابتلاءات، مبينا لهم سنته في خلقه؛ ليعلم الصادق من الكاذب، فبالرغم من شدة البلاء الذي وصفته الآيتان إلا أن المؤمنين

---

(١) الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، (٢/ ٢٧٤).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٥٢).

(٣) المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (١/ ٥١٨).

قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٢٢]، وأما المنافقون فكان مصيرهم أمام البلاء أن قالوا : ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[الأحزاب:١٢]، فهل يستوي الفريقان؟ بالطبع لا.

ويصف سيد قطب حال الابتلاء الذي حل بالمدينة فيقول: "إنها صورة الهول الذي روع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم ينج منه أحد من أهلها، وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بني قريظة من كل جانب، من أعلاها ومن أسفلها، فلم يختلف الشعور بالكرب والهول في قلب عن قلب، وإنما الذي اختلف هو استجابة تلك القلوب، وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملا والامتحان دقيقا"(١).

والسؤال ما صور البلاء الذي واجهه المؤمنون في تلك الغزوة، والذي وصفه الله -ﷻ- بالزلزال الشديد؟ لعلنا نقف بعض الوقفات عند كتب السيرة فنقتبس منها شيئا من صور ذلك البلاء الذي حصل في تلك الغزوة؛ لنتسلى ونتأسى بها في مثل هذه الأحداث والوقائع.

أ- نقض بني قريظة العهد:

من أعظم صور الابتلاء التي ذاقتها الجماعة المؤمنة في غزوة الخندق نقض بني قريظة العهد الذي كان فيما بينهما، فما إن وصل خبر نقض العهد لرسول الله -ﷺ- حتى بعث مجموعة من الصحابة فيهم السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة -رضي الله عنهم أجمعين- فقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله -ﷺ- وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد...، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله -ﷺ- فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، فقال رسول الله -ﷺ-: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين(٢).

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٨٣٧).

(٢) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، (٢/ ٢٢١-٢٢٢).

قال ابن إسحاق[١]: "وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق"[٢]، وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[الأحزاب:١٠]، "وهمت بنو قريظة أن يغيروا على بيضة المدينة ليلا، فأرسلوا حيي بن أخطب[٣] إلى قريش أن يأتيهم منهم ألف رجل، ومن غطفان ألف، فيغيروا بهم"[٤].

"فكان أبو بكر الصديق –ﷺ– يقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان، ولقد كنت أوفي على سلع[٥] فأنظر إلى بيوت المدينة، فإذا رأيتهم هادين حمدت الله ﷻ"[٦].

ب– تحريض المنافقين لحديثي العهد بالإسلام:

ما إن سمع المنافقون بنقض بني قريظة العهد حتى دب فيهم الرعب، وبدأوا يلتمسون لهم الأعذار الواهية، فقال بعضهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[الأحزاب:١٣]، ولم يكتفوا بانهزامهم وجبنهم، بل جعلوا يحرضون ويخذلون المسلمين عن الجهاد، قال الله عنهم: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب:١٨]، أي "قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله –ﷺ– فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي بالولاء المديني، صاحب المغازي والسير، كان ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق، وذكره البخاري في تاريخه، توفي ببغداد سنة: (١٥١هـ). ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (٤/ ٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، (٢/ ٢٢٢).

(٣) هو حيي بن أخطب النضري، جاهلي، من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. الزركلي، **الأعلام**، (٢/ ٢٩٢).

(٤) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩م، (٢/ ٤٦٠).

(٥) سلع (بفتح السين وسكون اللام) هو: "جبل بالمدينة مشهور". الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام النشر: ١٤١٥ هـ، (ص: ٥٤٤).

(٦) الواقدي، **المغازي**، (٢/ ٤٦٠).

معه، نفاقا منهم، وتخذيلا عن الإسلام وأهله، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه"[١]، تلك المواقف المخزية، والأعذار الواهية، والتخذيلات المستمرة، كان لها أثر واضح في نفوس المؤمنين الصادقين، وفي اشتداد المحنة عليهم.

جـ- خروق بعض قادة الأحزاب للخندق:

قال ابن إسحاق: "أقام رسول الله -ﷺ- والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود[٢]، وعكرمة بن أبي جهل، تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا بن أخي؟ فو الله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي -رضي الله عنه- وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة"[٣].

د- مواجهة فرسان المسلمين فيما بينهم:

كان الصحابة يبعثون الطلائع بالليل، يطمعون في الغارة، فخرجت طليعتان لرسول الله -ﷺ-

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (٢٠/ ٢٣٠).

(٢) هو عمرو بن عبد ود العامري، من بني لؤي، من قريش، فارس قريش وشجاعها في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- سنة: (٥ هـ). الزركلي، **الأعلام**، (٥/ ٨١).

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

ليلا، فالتقيا ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الإسلام، وكف بعضهم عن بعض، وكان شعارهم: حم لا ينصرون! فجاءوا إلى النبي -ﷺ- فأخبروه، فقال رسول الله -ﷺ-: جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد(١).

هـ- فوات الصلاة على الرسول والمؤمنين:

أشتد البلاء على المؤمنين لدرجة أن فاتتهم الصلاة، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "قاتلونا يومهم وفرقوا كتائبهم، ونحوا إلى رسول الله -ﷺ- كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلهم يومه ذلك إلى هوي من الليل، ما يقدر رسول الله -ﷺ- ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من مواضعهم، وما يقدر رسول الله -ﷺ- على صلاة الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء، فجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، ما صلينا! فيقول: ولا أنا والله ما صليت! حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا متفرقين"(٢).

وجاء في صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي -ﷺ- يوم الخندق، فقال: «ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا، كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس»(٣).

هذه بعض من صور الابتلاءات التي واجهتها الجماعة المؤمنة، أحببت عرضها راجيا أن نتأسى ويتأسى بها كل من تواجهه مثل هذه الشدائد، وما أكثرها في واقعنا اليوم، وما أحوجنا أن نرجع إلى سيرة نبينا محمد -ﷺ- فنأخذ منها الدروس والعبر.

٨- واجب المسلم عند البلاء:

من الأمور الواجبة عند الابتلاء:

١- أن الإنسان يسلم ويوقن بأن هذا الابتلاء من عند الله تعالى، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا

---

(١) ينظر: الواقدي، **المغازي**، (٢/ ٤٧٤).

(٢) الواقدي، **المغازي**، (٢/ ٤٧٢، ٤٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، البخاري، **صحيح البخاري**، (٨/ ٨٤، رقم: ٦٣٩٦).

عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[الحديد:٢٢-٢٣]، والآية تبين أن إخبار الله عن كون هذه الأشياء واقعة بالقضاء والقدر، ومثبتة في الكتاب الذي لا يتغير يوجب أن لا يشتد فرح الإنسان بما وقع، وأن لا يشتد حزنه بما لم يقع.(١)

وجاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: "ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا، وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما إلى مالا يجوز"(٢).

٢- التزام الشرع وعدم المخالفة: لما مات إبراهيم ابن النبي محمد –ﷺ– حزن عليه وبكى، لكن قال بعد ذلك: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»(٣)، كما حذر من خطر الجزع عند المصيبة فقال –ﷺ–: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»(٤).

٣- عدم السخط: ليس للعبد أمام أقدار الله تعالى خيرها وشرها إلا الصبر والتسليم، ولذلك مدح الله المؤمنين الصابرين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]، أي: تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة(٥).

٤- الحمد والرضى: فله الحمد على كل حال، جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله –ﷺ– قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع،

---

(١) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٢٩/ ٤٦٧).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، (١٧/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا بك لمحزونون»، البخاري، **صحيح البخاري**، (٢/ ٨٣، رقم: ١٣٠٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، مسلم، **صحيح مسلم**، (٢/ ٦٤٤، رقم: ٩٣٤).

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١/ ٤٦٧-٤٦٨).

فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد»[١].

٥- الاستغفار والتوبة من المعاصي التي بمجموعها أدت الى هذا البلاء، فمن سنته سبحانه أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرفعه إلا بتوبة، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[الروم:٤١]، "أي كي ينيبوا إلى الحق، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله"[٢].

المطلب الثاني: أنواع الابتلاء:

البلاء الذي يصيب المؤمن منه ما هو خير ومنه ما هو شر، وقد يصاب المؤمن بالغفلة نتيجة قصره البلاء على الشر، ولذلك نحن بحاجة شديدة إلى معرفة أشكال وأنواع البلاء؛ حتى نتعامل معه بالكيفية الذي أمرنا الله تعالى بها، "ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته: من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه"[٣]، وللبلاء أنواع كثيرة لا يمكننا جمعها كلها في هذا المطلب، ولكن حسبنا أن نذكر بعضا منها:

١- الابتلاء الديني:

أعظم البلاء على المؤمن أن يبتلى في دينه، وأن يضيق عليه في ذلك، "فالدرجة العليا من الابتلاء هي ما يخص الدين، وقد خصها -ﷻ- بالذكر المؤكد، فقال: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾[آل عمران:١٨٦]، والأذى الذي كانوا يسمعونه هو الافتراء على الله تعالى، والتهكم على القرآن، والسخرية من الشرع الإسلامي، من مثل قولهم: ﴿إِنَّ

---

(١) رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن غريب، أبواب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، الترمذي، **سنن الترمذي**، (٣/ ٣٣٢، رقم: ١٠٢١)، وقال الألباني: حديث حسن. الألباني، **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، (٣/ ٢١، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٠/ ١٠٩).

(٣) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ، (٢/ ٩١٥).

ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١]، ومثل قول المشركين: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾[يس:٤٧]، وهكذا مما يمس الحقائق الدينية، وقد جعله الله -ﷻ- في المرتبة العليا من الابتلاء، لأن المؤمن يسهل عليه التأذي في ماله ونفسه، ولا يسهل عليه الأذى في دينه، وإنه يحتمل كل شيء في سبيل الدين"[(١)].

وقال صاحب التفسير الوسيط: "أي لتسمعن من اليهود والنصارى والذين أشركوا أذى كثيرا كالطعن في دينكم، والاستهزاء بعقيدتكم، والسخرية من شريعتكم والاستخفاف بالتعاليم التي أتاكم بها نبيكم، والتفنن فيما يضركم"[(٢)].

وقد حذر الله نبيه من خطر هذا البلاء فقال: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[المائدة:٤٩]، فكان من دعاءه -ﷺ- «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»[(٣)]، وأخبر سبحانه أن أعداءه وأعداء المؤمنين في كل زمان ومكان ما زالوا ولن يزالوا يفتنوا المؤمنين عن دينهم ويصدوهم عنه، ولن يدخروا أي جهد في سبيل إضلالهم فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[البقرة:٢١٧]، والفعل (يزال) يدل على الاستمرارية حتى قيام الساعة، ثم حذر سبحانه من ذلك فقال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢١٧].

ولذلك شرع الله قتال المشركين خوف الفتنة في الدين فقال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:١٩٣]، والمعنى: "قاتلوهم حتى تظهروا عليهم فلا يفتنوكم عن دينكم فلا تقعوا في الشرك"[(٤)]، "وغاية القتال هي ضمانة ألا يفتن الناس عن دين الله، وألا يصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها كقوة الوضع الذي يعيشون فيه بوجه عام، وتسلط عليهم فيه المغريات والمضلات والمفسدات، وذلك بأن يعز دين الله ويقوى جانبه، ويهابه أعداؤه، فلا يجرؤوا على التعرض للناس بالأذى والفتنة، ولا يخشى أحد يريد الإيمان أن تصده عنه

---

(١) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، (٣/ ١٥٣٩).

(٢) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (٢/ ٣٦٣).

(٣) رواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن غريب، الترمذي، **سنن الترمذي**، (٥/ ٥٢٨ رقم: ٣٥٠٢)، وحسنه الألباني، الألباني، **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، (٨/ ٢ رقم: ٣٥٠٢).

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٥/ ٢٩١).

قوة أو أن تلحق به الأذى والفتنة"[١].

وهذا النوع من البلاء له صور وأشكال كثيرة يذكرها سيد قطب في تفسيره[٢]، سأذكرها في نقاط مختصرة:

أ- أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان.

ب- فتنة الأهل والأحياء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعا، وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم وينادونه باسم الحب والقرابة، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك... .

٣- فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقا في تيار الضلالة وهو وحده موحش عريب طريد.

وصفوة القول التي يجب أن نعلمها أنه "لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها، كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها..."[٣].

٢- الابتلاء الاجتماعي:

والمراد بهذا النوع البلاء الذي يقع بين العباد، بلاء التدافع، بلاء الجهاد، بلاء الأذى، بلاء التفاوت، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾[الأنعام:١٦٥]، "أي: فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ١٩٠).
(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٧٢٠).
(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ١٤٥).

والأشكال والألوان"[١]، والحكمة من ذلك: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام:١٦٥]، "أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره"[٢]، وكقوله تعالى في أمر الجهاد: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[محمد:٤]، "أي ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحق"[٣]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد:٣١].

ويلحق بالبلاء الجهادي بلاء المال بإنفاقه في سبيل الله وبلاء النفس ببذله رخيصة في سبيل الله، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦]، فأما الصبر على الابتلاء في الأموال والأنفس فيشمل الجهاد، وأما الصبر على الأذى ففي وقتي الحرب والسلم، والابتلاء في الأموال يكون بالبذل في جميع وجوه البر التي ترفع شأن الامة الإسلامية وتدفع عنها أعداءها وترد عنها المكاره وتدفع عنها غوائل الأمراض والأوبئة، والابتلاء فى الأنفس يكون ببذلها فى الجهاد فى سبيل الله وبموت من تحب من الأهل والأصدقاء أو بالمدافعة عن الحق[٤].

ومن صور البلاء الاجتماعي الابتلاء بالملك والحكم، فالحاكم يبتلى بالرعية، والرعية كذلك تبتلى بالحكام، وكما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عند توليه خلافة المسلمين: «أيها الناس، إن الله قد ابتلاني بكم، وابتلاكم بي»[٥]، وقد ذكر القرآن الكريم على هذه الصورة قصة نبي الله سليمان -عليه السلام- وابتلاءه بالملك والحكم، وكيف أنه لما رأى عرش بلقيس قد استقر عنده أعاد الفضل لله،

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ٣٨٤).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ٣٨٥).

(٣) الطبري، **جامع البيان**، (٢٢/ ١٥٨).

(٤) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (٤/ ١٥٣-١٥٤).

(٥) أخرجه معمر في جامعه، باب الإمام راع، معمر، معمر بن أبي عمرو راشد، **الجامع**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، (١١/ ٣٢٦ رقم: ٢٠٦٦٦).

﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾[النمل:٤٠]، "ولم يشتغل سليمان حين أحضر له العرش بأن يبتهج بسلطانه ولا بمقدرة رجاله ولكنه انصرف إلى شكر الله تعالى على ما منحه من فضل وأعطاه من جند مسخرين بالعلم والقوة، فمزايا جميعهم وفضلهم راجع إلى تفضيله"[(١)]، وهكذا يجب أن يكون حال كل حاكم كحال سيدنا سليمان –عليه السلام– فينسب الفضل لأهله، ويرفق برعيته وينصح لهم، فإنه مسؤول عن ذلك.

٣– الابتلاء الشخصي:

وهو ما يصيب المؤمن في نفسه أو أهله أو ماله من خير أو شر، وما يمر به في هذه الحياة من تقلبات: صحة ومرض وغنى وفقر، وهذا لابد منه وقد يشعر به المؤمن وقد لا يشعر به، إلا أن هناك عددا من الآيات تؤكد ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥]، فمن خلال الآية الكريمة يؤكد الله –سبحانه وتعالى– سنته في عباده بأن يبتليهم لا ليردهم عن دينهم ولكن ليتميز الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر، وقد ذكرت الآية أنواعا من الابتلاءات التي تصيب المؤمن واضحة جلية لا تحتاج إلى بيان، وفيها :إيماء إلى أن الانتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وبسط النفوذ وانتفاء المخاوف، بل كل ذلك يجري بحسب السنن التي سنها الله لخلقه، فتقع المصائب متى وجدت أسبابها، وكامل الإيمان يتأدب بمقاومة الشدائد، ويتهذب بوقوع الكوارث"[(٢)].

وقد يبتلى المؤمن بإقبال الدنيا عليه بزخارفها وزينتها فينشغل بها فتلهيه فيزل، وقد حذرنا المولى جل شأنه منها فقال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[الكهف:٧]، قال السعدي[(٣)]: "يخبر تعالى أنه جعل جميع ما على وجه الأرض، من مآكل لذيذة، ومشارب، ومساكن طيبة، وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة،

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٩/ ٢٧٢).

(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٢/ ٢٤).

(٣) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، ولد سنة: (١٣٠٧هـ) في عنيزة بالقصيم، له نحو ٣٠ كتابا منها: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، و تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، و القواعد الحسان في تفسير القرآن، توفي بالقصيم سنة: (١٣٧٦هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٣/ ٣٤٠).

وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه الدار، فتنة واختبارا ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أخلصه وأصوبه، ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات، فانية مضمحلة، وزائلة منقضية"[١].

وجاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، عن النبي -ﷺ- قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[٢]، "ومعناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن"[٣].

ومن الابتلاءات التي تعرض على المؤمن فتنة المال والأولاد فيتعلق بهما قلبه وربما شغلاه عن طاعة ربه، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الأنفال:٢٨]، والمعنى "واعلموا، أيها المؤمنون، أنما أموالكم التي خولكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبار وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها[٤].

وفي الآية الأخرى حذر سبحانه من هذين الصنفين أن يتسببا في خسارة المؤمن فقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون:٩].

فما يصيب المؤمن في نفسه أو في أهله من مرض أو موت أحد الأحباب أو الأقارب أو ضيق في العيش أو سعة أو نحوها كل ذلك ابتلاءات شخصية يجب على المؤمن الرضى عنها والتسليم بها؛ لأنها كلها من عند الله تعالى، ولا يكون ممن قال الله عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، (ص: ٤٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، مسلم، **صحيح مسلم**، (٤/ ٢٠٩٨ رقم: ٢٧٤٢).

(٣) النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (١٧/ ٥٥).

(٤) الطبري، **جامع البيان**، (١٣/ ٤٨٦).

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[الحج:١١]، والآية توضح "أن من الناس من ليس له ثبات في أمر دينه، بل هو مضطرب مذبذب، يعبد الله على وجه التجربة انتظارا للنعمة، فإن أصابه خير بقي مؤمنا، وإن أصابه شر من سقم أو ضياع مال أو فقد ولد ترك دينه وارتد كافرا، فكانت العاقبة الخسران في الدنيا والآخرة"(١).

٤- الابتلاء الجماعي:

الابتلاء قد يكون فرديا وقد يكون جماعيا، ومن أشد أنواع البلاء أن تبتلى الجماعة المؤمنة بأسرها في دينها أو معاشها أو أمنها، كالذي حدث يوم الأحزاب فقد وصفه الله بالزلزال الشديد فقال: ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾[الأحزاب:١١]، ولكن ما الأسباب التي تجعل الأمة المؤمنة تبتلى بأسرها؟

أ- تمييز الصف المؤمن من المنافق، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾[آل عمران:١٦٦-١٦٧]، "أي ليظهر علم الله بحال المؤمنين من قوة الإيمان وضعفه، واستفادتهم من المصائب حتى لا يعودوا إلى أسبابها، وليعرفوا سنن الله عندما يظهر فيهم حكمها، كما يظهر حال المنافقين الذين أظهروا الإيمان وتبطنوا الكفر، فيترتب على ذلك العبرة بسوء عاقبة المنافقين"(٢).

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾[آل عمران:١٧٩] "أي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب"(٣).

ب- الذنوب والمعاصي:

من أبرز أسباب ابتلاء الجماعة المؤمنة كثرة الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[الروم:٤١]، ولما سألت زينب بنت جحش -رضي الله عنها- رسول الله -ﷺ- فقالت: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٧/ ٩٤).

(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٤/ ١٢٧).

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص: ١٥٨).

«نعم إذا كثر الخبث»[١]، وتأمل حال المسلمين وما حل بهم يوم أحد من نصر إلى هزيمة، كل ذلك لم يكن بسبب قوة الكفار، ولكن بسبب مخالفة الرماة لأمر من أوامر الرسول ﷺ، من هنا يتأكد لنا بأن أهم سبب لوقوع الابتلاء هو الذنوب والتقصير والمخالفات[٢].

ج- وقوع الناس في الفتن وتعرضهم لها، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[الأنفال:٢٥]، "وفي الفتنة ها هنا سبعة أقوال: أحدها: القتال، والثاني: الضلالة، والثالث: السكوت عن إنكار المنكر، والرابع: الاختبار، والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد، والسادس: البلاء، والسابع: ظهور البدع"[٣]، فأي فتنة تعرض الناس لها فقد تعرضوا لابتلاء الله لهم، وهذا البلاء يعم الكل الصالح والطالح.

هذه بعض من الأسباب التي تجلب البلاء على الجماعة المؤمنة يجب الاحتراز منها، ومع ما قيل عن أسباب الابتلاء إلا أن الحقيقة التي لا مرية فيها أن الابتلاء مظهر عظيم من مظاهر حب الله ولطفه وعنايته بالمؤمنين وإن لم يدركوا ذلك، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من يرد الله به خيرا يصب منه[٤]»[٥]، كذلك هي رسالة لأهل الإيمان بأن يراجعوا أنفسهم فيعرفوا أماكن الضعف والتقصير فيتخلصوا منها؛ ليستكملوا بذلك الأسباب المؤدية إلى تحقق النصر[٦].

٥- الابتلاء بالتشريع الرباني:

ويسمى الابتلاء بالأوامر والنواهي، فأخبر الله -سبحانه وتعالى- أنه جعل لكل أمة شريعة خاصة تأوي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٣٨، رقم: ٣٣٤٦).

(٢) ينظر: الهلالي، مجدي الهلالي، **الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، (ص: ٤، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (٢/ ٢٠١).

(٤) يصب منه: يبتله بالمصائب ليطهره من الذنوب في الدنيا فيلقى الله تعالى نقيا (تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري). البخاري، **صحيح البخاري**، (٧/ ١١٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، البخاري، **صحيح البخاري**، (٧/ ١١٥، رقم: ٥٦٤٥).

(٦) ينظر: مجدي الهلالي، **الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات**، (ص: ٦، بترقيم الشاملة آليا).

إليها، فقال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[المائدة:٤٨]، والحكمة من ذلك، ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾[المائدة:٤٨]، قال ابن جرير: "خالف بين شرائعكم ليختبركم، فيعرف المطيع منكم من العاصي، والعامل بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيه -ﷺ- من المخالف"(١)، وقال ابن عاشور: "أي في جميع ما آتاكم من العقل والنظر، فيظهر التفاضل بين أفراد نوع الإنسان حتى يبلغ بعضها درجات عالية، ومن الشرائع التي آتاكموها فيظهر مقدار عملكم بها فيحصل الجزاء بمقدار العمل"(٢).

وجاء في التفسير المنير: "خاطب الله تعالى جميع الأمم، وأخبر عن قدرته الفائقة أنه لو شاء لجعل الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها، ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة إذ لا تصلح شريعة واحدة لكل الأزمان والشعوب، بسبب تفاوتهم في الرقي والنضج العقلي، فلما تقاربت البشرية شرع لها شريعة واحدة، وأن الهدف من تشريعه شرائع مختلفة: هو اختبار عباده فيما شرع لهم، لينظر الطائع فيثيبه، والعاصي بما فعله أو عزم عليه فيعاقبه"(٣).

ويقول السرخسي(٤): "أحق ما يبدأ به في البيان الأمر والنهى لأن معظم الابتلاء بهما وبمعرفتهما تتم معرفة الأحكام ويتميز الحلال من الحرام(٥).

ويتضح من ذلك أن الشريعة الإسلامية وما فيها من أحكام وتوجيهات وأوامر ونواهي كل ذلك، ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾[هود:٧]، أي: "ليختبركم أيكم أعمل بطاعة الله تعالى، وأسرع إلى طلب مرضات الله، وأورع عن محارم الله"(٦)

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١٠/ ٣٨٩).

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٦/ ٢٢٤).

(٣) الزحيلي، **التفسير المنير**، (٦/ ٢١٨).

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، شمس الأئمة صاحب المبسوط، وقد أملاه وهو في السجن، وكان عالما، أصوليا، مناظرا، شرح السير الكبير في جزأين ضخمين، وشرح "مختصر" الطحاوي، وكان آية في الحفظ، حسب حفظه فكان أثنى عشر ألف كراس، مات في حدود الخمسمائة. ينظر: ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين أبو العدل، **تاج التراجم**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م، (ص: ٢٣٤- ٢٣٥).

(٥) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، **أصول السرخسي**، دار المعرفة، بيروت، (١/ ١١).

(٦) السمعاني، **تفسير القرآن**، (٢/ ٤١٥).

المطلب الثالث: آثار الابتلاء:

سبق وأن تحدثنا عن الابتلاء بشكل عام، وفي المطلب السابق تحدثنا عن أنواع الابتلاء، وفي هذا المطلب سنتحدث عن آثار الابتلاء، وقبل الحديث عنها علينا أولا أن نعرف لماذا الله يحدثنا ويخبرنا عن الابتلاء؟ فكما أن للابتلاء آثار، كذلك الإخبار به له آثار.

يقول المراغي في تفسيره: "وفائدة الإخبار به أن نعرف السنن الإلهية ونهيئ أنفسنا لمقاومتها، فإن من تقع به المصيبة فجأة على غير انتظار يعظم عليه الأمر، ويحيط به الغم حتى ليقتله في بعض الأحايين، لكنه إذا استعد لها اضطلع بها وقوي على حملها، وكذلك من تحدث له النعمة على غير توقع لها، فإنها تحدث له دهشة وتهيجا في الأعصاب، وربما أصيب بشلل أو اضطراب عقلي أو موت فجائي، والحوادث المشاهدة في هذا الباب كثيرة"(١).

ويقول السعدي: "أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوى"(٢)، وهذا من رحمة الله تعالى على العبد، حينها يجب على المؤمن العيش مع كتاب الله تعالى ليستبصر به الطريق، فإذا ما أصابه بلاء خير أو شر عرف المراد منه، فأحسن التعامل معه، كما أراد الله ﷻ.

- آثار الابتلاء:

من المعلوم أن الله تعالى ما جعل الابتلاء سنة في عباده إلا وله آثار كثيرة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وإن المؤمن ليبصر بنور إيمانه تلك الفوائد التي جعلها الله تعالى للصابرين، وسأذكر جملة من تلك الآثار لعلها تكون بعد الله تعالى سببا في ثباتنا وصبرنا على الابتلاءات التي تواجهنا في هذه الحياة، سواء كانت فردية أم جماعية.

١- أن الله يعوض ويخلف على المؤمن بصبره على المصيبة خيرا منها:

روى مسلم(٣) عن أم سلمة، أنها قالت: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «ما من مسلم تصيبه

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (٤/ ١٥٤).

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص: ١٦٠).

(٣) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، الإمام الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق،

مصيبة، فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها»، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ(١).

وهذا الخير الذي أخبر به المصطفى -ﷺ- متحقق في الدنيا قبل الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٤٨]، "وإنما جمع لهم بين الثوابين، لأنهم أرادوا بعملهم هاتين السعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، كما هو شأن المؤمن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾[البقرة:٢٠١](٢).

١- **معرفة المؤمن الصادق من غيره:** فمن خلال المواقف والأحداث يظهر المعدن الأصلي من الردي، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يسبب لعباده محنا وبلايا تميز بين المؤمن والمنافق، حينها يعرف كل على حقيقته، ويرد كل إلى أصله، كما حدث في غزوتي أحد والأحزاب، فمثلا من خلال غزوة أحد أكد الله تعالى على هذه الفائدة عدة مرات؛ وكأنه ينبههم إلى ضرورة تمسكهم بإيمانهم وتحذيرهم من الوقوع في النفاق فقال سبحانه: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[آل عمران:١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾[آل عمران:١٦٦- ١٦٧]، وقال جل شأنه: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ﴾[آل عمران:١٧٩]، فمن خلال الآيات السابقة، وكذلك الآيات التي فضحت أهل النفاق، تظهر للجماعة المؤمنة عامة وللمؤمن خاصة عدة فوائد:

صاحب الصحيح، قيل إنه ولد سنة: (٢٠٤هـ)، له مصنفات كثيرة، منها: كتاب الجامع على الأبواب، و كتاب المسند الصحيح، و كتاب العلل، توفي -رحمه الله- بنيسابور، في شهر رجب، سنة: (٢٦١هـ). ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (١٢/ ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٧٩، ٥٨٠).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، مسلم، **صحيح مسلم**، (٢/ ٦٣١، رقم: ٩١٨).

(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٤/ ٩٤).

أ- "منها أن الصادق قد يفضي ببعض أسرار الملة إلى المنافق لما يغلب عليه من حسن الظن والانخداع بأداء المنافق للواجبات الظاهرة، ومشاركته للصادقين في سائر الأعمال، فإذا عرفه اتقى ذلك"(١).

ب- "ومنها أن تعرف الجماعة وزن قوتها الحقيقية؛ لأنها بانكشاف حال المنافقين لها تعرف أنهم عليها لا لها، وأما الأفراد فإنها تكشف لهم حجب الغرور بأنفسهم؛ فإن المؤمن الصادق قد يغتر بنفسه فلا يدرك ما فيها من الضعف في الاعتقاد، والأخلاق؛ لأن هذا مما يخفى مكانه على صاحبه حتى تظهره الشدائد"(٢).

وما حدث بالأمس على المؤمنين يحدث اليوم، من اضطهادات وقتل وتشريد، بل تحاك لهم المؤامرات، وتدبر لهم المكائد، فتلصق التهم بهم، وتصادر ممتلكاتهم وحقوقهم، وفي المقابل يصدق عدوهم، وتتم تبرئته ويقال عنه الأمين، وإن من المؤسف على من ينسب لنفسه الالتزام وأنه من أهل التدين، ثم تجده في صف أهل الباطل وفي صفوف النفاق، ولكن هذه مبشرات خير ونصر للمؤمنين، فإن النصر لم يأت للجماعة المؤمنة يوم الأحزاب إلا بعد أن صفاهم الله ونقاهم من أهل النفاق، فلم يبق إلا الجماعة المؤمنة، حينها أتى الفرج، وأتى النصر المبين، وهذه سنة الله تعالى في كل زمان ومكان، لا تتبدل ولا تتحول، فما على المؤمنين إلا أن يثقوا بالله وبنصره، ويعلقوا قلوبهم به، فما اشتد الكرب إلا وأتى النصر، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١].

ومما سبق يتضح أن تمييز المؤمن من المنافق من مبشرات اقتراب الفرج والنصر للمؤمنين، وهو من فضل الله تعالى ولطفه بهم؛ حتى يعرفوا صديقهم من عدوهم، ويعرفوا ما لهم وما عليهم.

٢- الالتجاء إلى الله تعالى وطلب العون منه:

من رحمة الله تعالى بعباده أن يبتليهم بالسراء والضراء ليعودوا إليه، ويتخلصوا من الغفلة التي هم فيها، فالبلاء يوجب للعبد الرجوع بقلبه إِلَى الله ﷻ، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد البلاء، وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم

---

(١) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٤/ ٢٠٨).

(٢) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٤/ ٢٠٨).

بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[المؤمنون:٧٦]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾[الأنعام:٤٢]، فالهدف من ذلك ضرورة الرجوع إلى الله تعالى، خاصة عند الشدائد.

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– عدة فوائد من ابتلاء الله للمؤمنين يوم أحد فذكر منها: "أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار"(١).

وعليه يجب على المؤمنين الرجوع إلى الله تعالى بصدق وإخلاص، وألا يعلقوا قلوبهم وآمالهم إلا عليه، فهو حده من يكشف الضر ويجيب دعوة المضطرين، والهدف من هذا الابتلاء "معرفة من يرجع فيه من الأمة إلى أمر الله – جل وعلا – معتصما بالله، متجردا، متابعا لهدي السلف ممن لا يرجع، وقد أصابته الفتنة، قلت أو كثرت"(٢).

٣– اصطفاء الله عباده المؤمنين للشهادة، وإنزالهم منازل الشهداء:

قال تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[آل عمران:١٤٠]، "أي: ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها"(٣)، وأنعم بها من كرامة، ينال بها المؤمن ما أعده الله للشهيد في الجنة، ويكفي أن أذكر حديثا واحدا يبين ذلك الفضل، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»(٤)

"والشهادة عند الله تعالى من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده،

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، (٣/ ١٩٨).

(٢) آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد، **الأصول الشرعية عند حلول الشبهات**، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (ص: ٨).

(٣) الطبري، **جامع البيان**، (٧/ ٢٤٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ٢٢، رقم: ٢٨١٧).

وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو"(١).

ومما سبق يمكن القول أن ليس كل من خرج إلى الجهاد ينال الشهادة، وإن حرص عليها، بل هي اصطفاء واختيار من الله تعالى لأوليائه، يمنحها من يشاء من عباده، وهذا الاصطفاء يجوز للمؤمن سؤال الله إياه، فقد روى أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل»(٢).

٤- الابتلاء سبب من أسباب دخول الجنة:

سلعة الله غالية، ولن تنال إلا بتحمل المشاق التي تجري على المؤمن في الدنيا، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٢]، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقارنة الأعداء"(٣).

ويقول السعدي: "أي لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم"(٤).

وجاء في حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن الله قال: إذا

---

(١) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (٣/ ١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٧، رقم: ٢٧٩٧).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ١٢٧).

(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص: ١٥٠).

ابتليت عبدي بحبيبتيه[١] فصبر، عوضته منهما الجنة»[٢].

مما سبق يتبين أن طريق الجنة محفوف بالمكاره والصعاب، وليس سهلا لينا، كما جاء في الحديث: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[٣]، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، وهذه المكاره يدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء والصبر عن الشهوات ونحو ذلك[٤].

٥- الابتلاء سبب في غفران الذنوب وتكفير السيئات:

من فوائد الابتلاء أن العبد إذا صبر على البلاء فإن الله يمحو سيئاته، وفي المقابل يضاعف له الثواب، فعن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي -ﷺ- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها»[٥].

٦- البلاء يكشف للمؤمن أعداءه ظاهرا وباطنا؛ ليحذر منهم:

كشفت الأحداث التي حدثت للجماعة المسلمة في أحد لهم عددا من الأعداء:

أ- **الدنيا**، قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[آل عمران:١٥٢]، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله -ﷺ- يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[آل عمران:١٥٢]"[٦]، "ومن حكمة القرآن أنه يسلط الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في

---

(١) حبيبتيه: أي عينيه، وسميتا بذلك لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به أو شر فيجتنبه. ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (١٠/ ١١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره، البخاري، **صحيح البخاري**، (٧/ ١١٦، رقم: ٥٦٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، مسلم، **صحيح مسلم**، (٤/ ٢١٧٤، رقم: ٢٨٢٢).

(٤) ينظر: النووي، **شرح النووي على مسلم**، (١٧/ ١٦٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، البخاري، **صحيح البخاري**، (٧/ ١١٤، رقم: ٥٦٤٠).

(٦) الطبري، **جامع البيان**، (٧/ ٢٩٥).

قلوبهم، يضع قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها"[١]، لذلك يحذر المؤمن من أن تتسلل الدنيا إلى قلبه فيؤثرها على الآخرة.

ب- **الشيطان،** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[آل عمران:١٥٥]، "والآية "في عمومها تصوير لحالة النفس البشرية حين ترتكب الخطيئة، فتفقد ثقتها في قوتها، ويضعف بالله ارتباطها، ويختل توازنها وتماسكها، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس، بسبب تخلخل صلتها بالله وثقتها من رضاه! وعندئذ يجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس، فيقودها إلى الزلة بعد الزلة، وهي بعيدة عن الحمى الآمن، والركن الركين"[٢].

وهناك آية أخرى في نفس الحدث تقرر حقيقة الخوف الناتج من النفس البشرية وأن مصدره الشيطان، فقال سبحانه:﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]، إذ لا ينبغي أن يخاف أحد إلا الله، وليعرف المؤمنون حقيقة مكر الشيطان ووسوسته، ليكونوا منها على حذر، فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم، فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه، ويستند إلى قوته[٣].

جـ- **النفس:** لما تساءل المؤمنون عن سبب الهزيمة وما نالهم يوم أحد، جاءت الآيات لتبين لهم السبب الرئيسي عن ذلك، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران:١٦٥]، فمعرفة المؤمن لأعدائه عامل مهم في الحصول على نتائج ما يحدث له، "إذ العاقل هو الذي يحاسب نفسه عند ما يفاجئه المكروه ويعمل على تدارك أخطائه ويقبل على حاضره ومستقبله بثبات وصبر مستفيدا بماضيه ومتعظا بما حدث له فيه"[٤].

وما أحوج الناس في كل زمان ومكان إلى الأخذ بهذا الدرس، فإن الغالب منهم يقصرون ثم يبنون حياتهم على الغرور والإهمال، فإذا ما أصابتهم الهزيمة مسحوا عيوبهم في القضاء والقدر،

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٩٤).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٩٧).

(٣) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٥٢١).

(٤) طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (٢/ ٣٢٩).

أو في غيرهم من الناس، ثم قالوا: أنى هذا؟ وما دروا _لجهلهم وغرورهم- أن الله تعالى قد جعل لكل شيء سببا، فمن باشر أسباب النجاح وصل إليها بإذن الله ومن أعرض عنها حرمه الله تعالى من عونه ورعايته[١].

د- **المنافقين**، فقد كان المؤمنون الصادقون يظنون أن من خرج معهم للمعركة أنهم مثلهم صادقون، ولكن بعد ذلك تبين لهم أن من بين أظهرهم أعداء لا يختلفون عن أعدائهم المشركين، فوجب الاحتراز منهم، وهذا ما قررته الآية: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[آل عمران:١٦٧].

ومن خلال ما ذكرنا يتبين أن المحنة وإن كان في ظاهرها شر، إلا أنها تأتي بالمنح، وأي منح أعظم من أن يعرف المؤمن أعداءه فينتبه لهم قبل أن يوقعوه في خسارة الدنيا الآخرة.

ومما سبق يتضح أن فوائد الابتلاء ليست شرطا أن تتحقق كلها في الدنيا، فمنها ما يتحقق في الدنيا، ومنها ما يدخرها الله لهم إلى يوم القيامة ليثيبهم عليها، وهو خير لهم لو كانوا يعلمون، ومع ما ذكر من فوائد للبلاء، إلا أن المؤمن لا يتمنى البلاء لنفسه أو مجتمعه، وإنما يسأل الله العافية فقد صح عن النبي -ﷺ- أنه قال: «أيها الناس، لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[٢]، بل كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ منه فعن أبي هريرة: «كان رسول الله -ﷺ- يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء»[٣]، ولكن إذا أصيب بشيء من ذلك فعليه بالصبر، رجاء أن ينال تلك الفوائد التي ذكرنا، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(١) ينظر: طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (٢/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ٦٣، رقم: ٣٠٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء، البخاري، **صحيح البخاري**، (٨/ ٧٥، رقم: ٦٣٤٧).

المبحث الثاني: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين، وإهلاك الكافرين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : سنة الله تعالى في نصر المؤمنين.

المطلب الثاني : عوامل النصر ومعوقاته.

المطلب الثالث : سنة الله تعالى في إهلاك الكافرين.

المطلب الأول: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين:

بعد الحديث عن سنة الابتلاء انتقل للحديث عن سنة النصر والتمكين، فبعد الابتلاء يأتي التمكين، والذي يظن أن النصر يحصل بدون ابتلاء فهو جاهل بهذه السنة غير عالم بها، فلا بد من سنة التدافع، لابد من الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل، وبالتدبر لكتاب الله تعالى والتأمل فيه ندرك أن النصر والتمكين للمؤمنين سنة إلهية لا تتخلف أبدا فقد قضت سنة الله تعالى أن النصر للمؤمنين، وأن الهلاك على الكافرين.

وقبل الدخول في تفاصيل هذه السنة علينا أولا أن نبين معنى النصر في اللغة بشكل موجز، ثم نذكر معانيه في القرآن الكريم؛ فإنه يأتي بمعان مختلفة.

- التعريف اللغوي للنصر:

النصر في اللغة بمعنى العون قال تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾[الصف:١٣][(١)]، وقال ابن فارس: "النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم"[(٢)].

وقد ورد لفظ النصر في القرآن الكريم بمعان متعددة، منها أنه يأتي بمعنى:

أ- المنع، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:٤٨]، ومعنى لا ينصرون أي: "لا يمنعون من عذاب الله"[(٣)].

ب- الانتقام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾[الشورى:٣٩]، "أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه"[(٤)]، وقال ابن كثير: "أي: يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم"[(٥)].

---

(١) ينظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، (ص: ٨٠٨).

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (٥/ ٤٣٥).

(٣) الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، (ص: ١١).

(٤) المحلي، السيوطي، **تفسير الجلالين**، (ص: ٦٤٤).

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٧/ ٢١١).

جـ- العون، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[محمد:٧]، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم(١).

ومما سبق يتضح أن النصر في القرآن الكريم له معان كثيرة، حيث يأتي بمعنى المنع والانتقام والعون كما بينا آنفا.

- الآيات التي تدل على هذه السنة من سورة الأحزاب وأقوال المفسرين فيها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب:٩].

"أي تذكروا أيها المؤمنون نعم الله التي أسبغها عليكم حين حوصرتم أيام الخندق، وحين جاءتكم جنود الأحزاب من قريش وغطفان، ويهود بني النضير الذين كانوا أجلاهم رسول الله -ﷺ- من المدينة إلى خيبر، فأرسلنا عليهم ريحا باردة في ليلة باردة أحصرتهم، وسفت التراب في وجوههم، وأمر ملائكته، فقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيل بعضها في بعض، وقذف الرعب في قلوب الأعداء"(٢).

وقال ابن عاشور في تفسيره: "نصرهم على أعدائهم لأنه عليم بما لقيه المسلمون من المشقة والمصابرة في حفر الخندق والخروج من ديارهم إلى معسكرهم خارج المدينة وبذلهم النفوس في نصر دين الله فجازاهم الله بالنصر المبين كما قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج:٤٠]"(٣).

وفي الآية لفتة بأن تتعلق القلوب به وتتخلص من أي تعلق آخر، لا إلى أسباب مادية ولا معنوية، ولذلك جاءت الآية التي تؤكد حقيقة مجيء النصر الأكبر، فبعد أن تصاب الجماعة المؤمنة باليأس عندما تستنفذ جميع أسباب النصر حينها يأتي وعد الله، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[يوسف:١١٠]، "تلك سنة الله في الدعوات، لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص: ٧٨٥).
(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٢١/ ١٣٩).
(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢١/ ٢٧٩).

لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس، يجيء النصر من عند الله، فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون، ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمرا ماحقا لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير"(١).

- الآيات التي تؤكد هذه السنة من غير سورة الأحزاب، وأقوال المفسرين فيها:

هناك العديد من الآيات التي تؤكد هذه السنة، نكتفي بذكر ثلاث منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الفتح:٢٢-٢٣].

يقول ابن كثير موضحا حقيقة هذه السنة: "أي هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعددهم، وكثرة المشركين وعددهم"(٢).

ويقول سيد قطب: "هكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية الثابتة التي لا تتبدل، فأية سكينة؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود؟ وهي سنة دائمة لا تتبدل، ولكنها قد تتأخر إلى أجل؛ ولأسباب قد تتعلق باستواء المؤمنين على طريقهم واستقامتهم الاستقامة التي يعرفها الله لهم، أو تتعلق بتهيئة الجو الذي يولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين"(٣).

- **الآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣]، "أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب،

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٤/ ٢٠٣٦).
(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٧/ ٣٤١).
(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٦/ ٣٣٢٧).

وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج"[١].

- **الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]، جاء في تفسير هذه الآية: "أوجبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به فلا بد من وقوعه"[٢].

وجاء في تفسير الظلال "وسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين وجعله لهم حقا، فضلا وكرما، وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكا ولا ريبا، وكيف والقائل هو الله القوي العزيز الجبار المتكبر، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير، يقولها سبحانه معبرة عن إرادته التي لا ترد، وسنته التي لا تتخلف، وناموسه الذي يحكم الوجود"[٣].

من خلال الآيات السابقة يتبين لنا أن سنة النصر سنة ثابتة لا تتخلف؛ لأنه وعد من الله ومن أصدق من الله قيلا، وهو أصدق القائلين سبحانه، ولكنها قد تتأخر، فما سبب ذلك؟

يجيب عن هذا السؤال سيد قطب في تفسيره فيقول: "قد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة، ولكنها لا تخلف أبدا ولا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين! ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله، ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى، فيكون ما يريده الله..."[٤].

ويؤكد هذا المعنى ويقويه ما حصل للجماعة المؤمنة يوم بدر، فقد صور القرآن الكريم أنهم كانوا حريصين على العير، ولكن الله -ﷻ- أراد أمرا آخر، فحصل ما أراده الله تعالى من النصر والعزة للمؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال:٧-٨].

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (٢١/ ١٣٠).
(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (ص: ٦٤٤).
(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٧٧٤).
(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٣٠٠٢).

وأحيانا قد تكون الدائرة عليهم مرات ومرات ويتأخر النصر عن الفئة المؤمنة؛ لأن الله يعدهم لنصر أعظم وأكبر مما كانوا يتوقعه المسلمون، يجسد سيد هذه الفكرة بقوله: "ولقد يهزم جنود الله في معركة من المعارك، وتدور عليهم الدائرة، ويقسو عليهم الابتلاء لأن الله يعدهم للنصر في معركة أكبر، ولأن الله يهيئ الظروف من حولهم ليؤتي النصر يومئذ ثماره في مجال أوسع، وفي خط أطول، وفي أثر أدوم"(١).

ويضيف في موضع آخر فيقول: "وقد يبطئ هذا النصر أحيانا- في تقدير البشر- لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها الله، والله هو الحكيم الخبير، يصدق وعده في الوقت الذي يريده ويعلمه، وفق مشيئته وسنته، وقد تتكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف، ولكن إرادته هي الخير وتوقيته هو الصحيح، ووعده القاطع واقع عن يقين، يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين"(٢).

وهناك حكم عظيمة ذكرها الله في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٠-١٤١]، فأكدت الآيتان ثلاث حكم عظيمة من تأخير النصر أولها أن يصطفي من عباده شهداء ليعلي درجاتهم في الجنة، وثانيها أن يمحص الصف المؤمن حتى تتم تنقيته من كل منافق فلا يبقى إلا المؤمن الصادق، وثالثها أن يمحق الكفر وأهله فيفنيهم فلا يبقى لهم أثر.

"وقد يبطئ النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد في جهادها وقتالها لله، ودعوة الله، فهي تقاتل حمية لذاتها، أو لمغانم تحققها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها، والله يريد أن يكون الجهاد له وحده، وفي سبيله، وفي دفع الاعتداء عن الدين، وعن بلاد المسلمين بريئا من الرياء خالصا من المشاعر الأخرى التي تلابسه"(٣).

- شبهة والرد عليها:

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٣٠٠٢).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٧٧٤).

(٣) غوشه، عبدالله غوشه، **الجهاد طريق النصر**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الطبعة الأولى سنة: ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، (ص:١٩٦).

قد يقول قائل هناك أنبياء وجماعات مؤمنة ماتت ولم تر النصر، والله -ﷻ- يقول في كتابه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[غافر:٥١]، وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثلوا به، كيحيى بن زكريا، ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقا لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا(١).

- الرد عليها:

ذكر هذه الشبهة ابن جرير في تفسيره وأجاب عنها بجوابين:

أحدهما: "أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد -ﷺ- بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقا، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على من قتله من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به على من قتله له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه.

ثانيهما: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمدا -ﷺ- والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، فالعرب تخرج الخبر بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه"(٢).

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٢١/ ٤٠٠).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢١/ ٤٠٠-٤٠١).

المطلب الثاني: عوامل النصر ومعوقاته:

أخبرنا المولى –ﷻ– في كتابه العزيز بأن النصر الحقيقي يستمد ويطلب منه، فهو المتصرف به، إن شاء منحه وإن شاء منعه، وذلك ليتعلق القلب به، ولا يتعلق بأحد سواه، "فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله –ﷻ– بتعلقه بغيره والتفاته إلى سواه"[١] قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[آل عمران:١٢٦]، ومع ذلك جعل لكل شيء سببا، فهيئ أسبابا للنصر من عمل بها انتصر بإذن الله، ومن خالفها وحاد عنها خذل وانهزم، ونحن الآن بصدد ذكر أهم العوامل التي إن عملت بها الجماعة المؤمنة استحقت –بإذن الله– من الله العون والمدد وذلك بعد توكلها على الله تعالى، ثم سنتبعها الحديث عن أهم معوقات النصر.

أولاً: عوامل تحقيق النصر:

١– تحقيق الإيمان بالله تعالى:

من أهم الأسباب الجالبة للنصر هو تحقيق الإيمان بالله تعالى، وهو أن تتصف الجماعة المؤمنة بصفات الإيمان المذكورة في القرآن والسنة، لا مجرد ادعاء للإيمان من غير عمل، فالإيمان "قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالقلب يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل"[٢]، ولك أن تتأمل الآيات التي سبقت الحديث عن غزوة بدر، فقد ذكر الله فيها خمس صفات من صفات أهل الإيمان، وكأن الله يحكي لنا من خلالها أنكم إن أردتم نصرا كنصر بدر فعليكم تحقيق ما ذكرت لكم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[الأنفال:٢–٤].

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، (١/ ٤٥٥).

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد، **العقيدة رواية أبي بكر الخلال**، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، (ص: ١١٧).

وهناك صفات أخرى مبثوثة في ثنايا القرآن الكريم امتدح الله بها أهل الإيمان منها:

أ- عدم الوهن عن قتال العدو: قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]، "كأنه قال إذا بحثتم عن أحوال القرون الماضية علمتم أن أهل الباطل وإن اتفقت لهم الصولة، لكن كان مآل الأمر إلى الضعف والفتور، وصارت دولة أهل الحق عالية، وصولة أهل الباطل مندرسة، فلا ينبغي أن تصير صولة الكفار عليكم يوم أحد سببا لضعف قلبكم ولجبنكم وعجزكم، بل يجب أن يقوى قلبكم فإن الاستعلاء سيحصل لكم والقوة والدولة راجعة إليكم"(١).

ب- لا يخافون إلا الله: ومن صفات أهل الإيمان أنهم لا يخافون إلا الله، قال الله عنهم: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[التوبة:١٣]، "أي فالله أحق أن تخشوا مخالفة أمره وترك مخالفة عدوه، إذ المؤمن حق الإيمان لا يخشى إلا الله، لأنه يعلم أنه هو الذي بيده النفع والضر، ولا يقدر أحد على مضرة أو نفع إلا بمشيئته، فإن خشي غيره بمقتضى سننه تعالى في أسباب الضر والنفع، فلا ترجح خشيته على خشية الله، بأن تحمله على عصيانه ومخالفة أمره، بل يرجح خشيته تعالى على خشية غيره"(٢).

جـ- الاعتماد على الله: فالمؤمن الواثق بالله لا يركن إلى الأسباب ويترك مسبب الأسباب، لأنه يعلم أن حقيقة الانتصار لا تكون إلا من الله، فيتوكل عليه، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[آل عمران:١٦٠]، جاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي: "ولكن على ربكم، أيها المؤمنون، فتوكلوا دون سائر خلقه، وبه فارضوا من جميع من دونه، ولقضائه فاستسلموا، وجاهدوا فيه أعداءه، يكفكم بعونه، ويمددكم بنصره"(٣).

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٩/ ٣٧١).
(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٠/ ٦٨).
(٣) الطبري، **جامع البيان**، (٧/ ٣٤٧).

د- ومن تلك الصفات ذكر الله تعالى، والالتجاء إليه، والتضرع إليه، والشواهد في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الأنفال:٤٥]، ومنها ما فعله النبي -ﷺ- يوم بدر ويوم الأحزاب من سؤال الله تعالى النصر والإلحاح عليه في ذلك، فكانت النتيجة النصر العظيم.

يقول سيد قطب مبينا أهمية ذكر الله تعالى عند لقاء العدو: "إن ذكر الله عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى: إنه الاتصال بالقوة التي لا تغلب والثقة بالله الذي ينصر أولياءه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها، فهي معركة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، وإذن فهي معركة لتكون كلمة الله هي العليا، لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي، كما أنه توكيد لهذا الواجب- واجب ذكر الله- في أحرج الساعات وأشد المواقف، وكلها إيحاءات ذات قيمة في المعركة يحققها هذا التعليم الرباني"(١).

هـ- ومن صفات أهل الإيمان البعد عن الذنوب والمعاصي، وهذا من أهم ما يمتاز به المؤمنون، وما حصل يوم أحد من تحول إلا بسبب الوقوع في المعصية، فداء المعصية عظيم، وخطرها يعم الكل، وبالتخلص منها يستجلب النصر، وفي رسالة عمر لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما- ومن معه من الجند تحذيرا من الوقوع في المعاصي قائلا لهم: "وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله؛ ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا؛ فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا"(٢).

هذه جملة من صفات أهل الإيمان المستحقين لنصر الله وعونه، وعليهم في كل زمان ومكان

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٣/ ١٥٢٨).

(٢) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، (١/ ١١٧).

أن يعملوا بها، حتى يأتيهم وعد الله، وتتحقق لهم سنته.

٢- ثبات القلب والبدن:

أما ثبات القلب فيكون بالنظر إلى ما وعد الله به المجاهد في سبيله إما النصر وإما الشهادة، والحذر من أن يتعلق القلب بما سواهما، وأما البدن فيكون بثباته في المعركة، والحذر من التولي يوم الزحف، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[الأنفال:١٥]، وثبات القلب والبدن كلاهما أمر مطلوب لابد منه، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والشجاعة ليست هي قوة البدن، وقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به"[(١)]، والثبات يعتبر بدء الطريق إلى النصر، فأثبت الفريقين أغلبهما.

وقد ثبت النبي -ﷺ- في جميع معاركه الحربية، وثبت يوم حنين حين تفرق الناس عنه وكان يقول يومها: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[(٢)]، والاقتداء بالنبي -ﷺ- سبب من أسباب الهداية والنصر كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾[النور:٥٤]، وامتدح الله عباده الثابتين على مبادئهم فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب:٢٣]، ومن الآية "يتضح أن الثبات يحتاج إلى ثلاثة عناصر: إيمان، ورجولة، وصدق؛ إيمان يبعث على التمسك بالقيم الرفيعة والتثبت بها، وباعث على التضحية بالنفس ليبقي المبدأ الرفيع، ورجولة محركة للنفس نحو هذا الهدف، غير مهتمة بالصغائر والصغار، وإنما دائما دافعة نحو الهدف الأسمى والمبدأ الرفيع، وصدق يحول دون التحول أو التغير أو التبديل، ومن ثم يورث هذا كله، الثبات الذي لا يتلون معه الإنسان وإن رأى شعاع السيف على رقبته، أو رأى حبل المشنقة ينتظره، أو رأى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها"[(٣)].

٣- طاعة الله ورسوله:

---

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، (ص: ٤١،٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ٣١، رقم: ٢٨٦٤).

(٣) الصلابي، علي بن محمد، **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، مكتبة الصحابة الإمارات – الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، (١/ ٢٦٩).

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[الأنفال:١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦]، أي وأطيعوا الله فيما أمركم به من الأسباب الموجبة للفلاح في القتال وفى غيره، وأطيعوا رسوله كذلك، فهو المبين لكلام ربه، والمنفذ له بالقول والعمل والحكم، وهو القائد الأعظم في القتال، فطاعته هي جماع النظام، والنظام ركن من أركان الظفر، وهو المشارك لكم في الرأي والتدبير والاستشارة في الأمور"[(١)]، والمخالفة لله ولرسوله –ﷺ– سبب رئيسي في الهزيمة، ولذلك لما خالف الرماة أمر النبي –ﷺ– يوم أحد تحولت المعركة من نصر إلى هزيمة.

"ولأن طاعة الله ورسوله من أسباب تحقيق الفوز والنصر في القتال وغيره، ولأن الطاعة تحقق الانضباط، وتوفر النظام، وتقمع الفوضى والتشتت، وظرف الحرب يقتضي الانضباط واحترام النظام وحبه في أعلى مستوى وأكمله"[(٢)].

ويدخل في طاعة الله ورسوله طاعة القائد فطاعته من طاعتهما، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–: قال رسول الله –ﷺ–: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[(٣)].

وعليه يجب على الجنود طاعة القائد فيما يأمرهم به وينهاهم عنه في حدود الشرع، فالطاعة إنما تكون في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

٤- الصبر والمصابرة:

الصبر سبب رئيسي في النصر، ولذلك أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٠/ ١٠).

(٢) الزحيلي، **التفسير المنير**، (١٠/ ٢٥).

(٣) أخرجه النسائي في سننه، الترغيب في طاعة الإمام، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، (٧/١٥٤، رقم: ٤١٩٣)، وقال الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن النسائي**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (٩/ ٢٦٥، بترقيم الشاملة آليا).

وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠]، ويؤكد على ذلك النبي -ﷺ- بقوله: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»[(١)]، "وإذا كان الباطل يصر ويصبر ويمضي في الطريق، فما أجدر الحق أن يكون أشد إصرارا وأعظم صبرا على المضي في الطريق"[(٢)]

وفي المقابل الحذر من اليأس أو القنوط، فاليأس من صفات الكافرين، ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧]، والقنوط من صفات الضالين، ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[الحجر:٥٦].

وبالصبر والمصابرة تغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩]، وبالصبر والمصابرة يأتي المدد من الله،﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَاۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران:١٢٥]، وبالصبر والمصابرة تنال الإمامة في الدين، كما قال ابن تيمية "الصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين"[(٣)]، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]، وهكذا تتجلى مكانة الصبر وأهميته وفوائده.

٥- إعداد القوة الحقيقية التي ترهب الأعداء:

إن إعداد القوة الحقيقية بكافة معانيها لهي أشد أثرا في نفوس الأعداء، فبقوتك يعرفك عدوك ويهابك، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾[الأنفال:٦٠]، والمعنى أعدوا لهم "كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس، ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (٥/ ١٩، رقم: ٢٨٠٣)، وقال المحقق (الأرنؤوط): حديث صحيح، ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (٥/ ١٩).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٥٥٢).

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٣/ ٣٥٨).

والتدبير "[١].

"وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها، والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة، والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها، والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه"[٢].

عوامل النصر كثيرة جدا ولا نستطيع أن نلم بها في هذا المطلب ولكن حسبنا ما ذكرنا، لعل الله أن ينفع بها، وعلينا أن نعمل بها فهي السبب –بعد الله تعالى– في تحقيق النصر، وما تأخر النصر علينا اليوم إلا لبعدنا عنها، وفي المقابل علينا أن نحذر من الوقوع في المعوقات التي تعيق النصر فهي كثيرة ونحن الآن بصدد ذكرها.

ثانياً: معوقات النصر:

١– التنازع والاختلاف:

من معوقات النصر التنازع والاختلاف قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]، أي ولا يكن منكم تنازع واختلاف، فإن ذلك مدعاة للفشل والخيبة وذهاب القوة، فيتغلب عليكم العدو"[٣] ويقول ابن عاشور: "ولما كان التنازع من شأنه أن ينشأ عن اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسط القرآن القول فيه ببيان سيئ آثاره، فجاء بالتفريع بالفاء في قوله: فتفشلوا وتذهب ريحكم فحذرهم أمرين معلوما سوء مغبتهما: وهما الفشل وذهاب الريح"[٤].

وفي معركة أحد بين الله –ﷻ– أن من أسباب هزيمة المسلمين فيها هو التنازع والاختلاف،

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٣٢٤).
(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٣/ ١٥٤٣).
(٣) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٠/ ١٠).
(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٠/ ٣١).

وذلك حين اختلف الرماة مع أميرهم عبدالله بن جبير فقال بعضهم ما بقاؤنا هنا وقد انهزم المشركون؟، وقال الآخرون: لا نخالف أمر الرسول ﷺ، فدب الخلاف بينهم فكان ذلك سببا للهزيمة، قال الله تعالى واصفا الحدث، مخبرا بخبايا القلوب: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٥٢].

وعند التنازع على أمر ما يجب رده إلى الله وإلى الرسول وأولي الأمر منهم؛ لينتهي الخلاف، هكذا أمرنا القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٨٣].

كما حذر النبي -ﷺ- من التنازع والاختلاف، فعن أبي مسعود، قال: كان رسول الله -ﷺ- يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم»[(١)]، قال أبو مسعود معلقا على هذا الحديث: «فأنتم اليوم أشد اختلافا»[(٢)]، يقول هذا الكلام لزمانه، فكيف لو رأى زماننا اليوم ماذا عساه أن يقول، وحال الأمة اليوم أكثر اختلافا وتنازعا وتفرقا، بل أصبحت مشغولة بنفسها، وتركت عدوها الحقيقي الذي يكيد لها ويخطط لها من حيث لا تشعر، وما دام الأمر كذلك ستبقى في دائرة التبعية والذل والانحطاط، ولن تقوم لها قائمة حتى تفيق مما هي فيه فتجمع كلمتها وتترك النزاع والخلاف المؤدي للفشل، وتضع كلمتها ورأيتها تحت ظل قيادة ربانية لا تخشى إلا الله ولا تخاف فيه لومة لائم، عندها تنتظر الفرج من الله وحده.

٢- عدم وجود قيادة ربانية:

القيادة الربانية لهذه الأمة بمنزلة الرأس في الجسد، وأمة بلا قيادة كجسد بلا رأس، فإذا صلحت القيادة صلحت الأمة، وإذا فسدت القيادة فسدت الأمة، ولذلك فطن أعداء الإسلام لأهمية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام، مسلم، **صحيح مسلم**، (١/ ٣٢٣، رقم: ٤٣٢).

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، (١/ ٣٢٣).

القيادة في حياة الأمة الإسلامية، وحرصوا كل الحرص على أن تبقى هذه الأمة بلا قيادة ربانية، وإنما يضعون عليها من يحقق لهم خططهم وأهدافهم، ومن أقوالهم: "إذا وجد القائد المناسب، الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى"[١]، وقولهم: "الحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة، لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين[٢] جديد"[٣].

لذلك يجب على الأمة أن تختار لها القيادة الربانية التي تمتاز بالحكمة والشجاعة وحسن القيادة، فالقيادة تستطيع بفضل الله وتوفيقه أن تنتقل بالأمة إلى تحقيق أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة لتصل بها إلى الهدف المنشود وهو النصر والتمكين الموعودة به.

٣- الغرور والعجب:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[التوبة:٢٥]، جاء في تفسير هذه الآية: "فكانت الهزيمة عليكم، لاعتمادكم على أنفسكم، وغروركم بقوتكم، وتركتم اللجوء إلى ربكم واهب النصر، فلم تغن كثرتكم عنكم شيئا من قضاء الله، وضاقت عليكم الأرض بما اتسعت من الخوف، ثم وليتم مدبرين منهزمين"[٤].

وتستمر التربية من الله تعالى للمؤمنين حتى لا يغتروا بعدتهم ولا بعددهم، ولا يعتمدوا على أنفسهم، بل تبقى نفوسهم معلقة بالله تعالى دائما وأبدا، فإن من تعلق بالأسباب وكله الله إليها وحينها لن تنفعه، "وليعلم المؤمنون أن التجرد لله، وتوثيق الصلة به هي عدة النصر التي لا تخذلهم

---

(١) جلال العالم، عبد الودود يوسف الدمشقي، **قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، تاريخ النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٤ م، (ص: ٦٠).

(٢) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام، ولد بتكريت سنة: (٥٣٢هـ)، ونشأ في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها، خاض العديد من المعارك أشهرها معركة حطين ضد الأفرنج، وافتتح القدس سنة: (٥٨٣هـ)، وانصرف عنها بعد أن بني فيها مدارس ومستشفيات، ومكث في دمشق مدة قصيرة انتهت بوفاته سنة: (٥٨٩ هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٨/ ٢٢٠).

(٣) جلال العالم، **قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، (ص: ٦٠).

(٤) الزحيلي، **التفسير المنير**، (١٠/ ١٥٩).

حين تخذلهم الكثرة في العدد والعتاد وحين يخذلهم المال والإخوان والأولاد"[١].

٤- إيثار الدنيا على الآخرة:

حب الدنيا والركون إليها وإيثارها على الآخرة من أهم الأسباب التي تعيق النصر، ولما تركن الأمة إلى الدنيا تترك الجهاد ومواطن الرباط، وتنغمس في متاع الدنيا وزينتها وملذاتها، فعن ثوبان، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[٢].

وعندما فضلت الأمة الثمانية على الثلاثة وانشغلت بها، وصلت إلى ما هي عليه اليوم، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤]، يقول سيد قطب معلقا على هذه الآية: "إن هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكا فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها، وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة، كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة، فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعدا لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة"[٣].

فلا يجتمع في القلب حب الدنيا وحب الآخرة في آن واحد، فإما أن تؤثر الآخرة فتسعد، وإما

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٣/ ١٦١٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، باب في تداعي الأمم على الإسلام، أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (٦/ ٣٥٥، رقم: ٤٢٩٧)، وقال المحقق(الأرنؤوط): حديث حسن، أبو داود، **سنن أبي داود**، (٦/ ٣٥٥)، وقال الألباني، حديث صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٣/ ١٦١٥).

أن تؤثر الدنيا فتشقى وتستبدل كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[محمد:٣٨].

وفي ختام هذا المطلب نسأل الله أن يعز أمتنا وأن يوفقها إلى العمل بأسباب النصر، وأن يجنبها معوقاته، وأن يجمع كلمتها تحت راية واحدة وقيادة واحدة، وما ذلك على الله بعزيز.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى في إهلاك الكافرين:

كانت سنة الله تعالى مع الرسل السابقين بأن يرسلهم إلى أقوامهم، ويقيم عليهم الحجج، فإن هم كذبوا أتاهم الهلاك من الله بخارقة، إما صيحة وإما ريح وإما صاعقة، وهكذا...، ولعل آخر خارقة كانت عام الفيل حين أرسل الله على أبرهة[١] ومن معه طيرا أبابيل، لكن بعد ذلك توقفت هذه الخوارق، فكان هلاك المكذبين على أيدي المؤمنين، بمعنى لابد من مجاهدة العدو للحصول على النصر، فسنة الله تعالى في هذه الأمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، أي "إن تنصروا دين الله ينصركم على الكفار ويفتح لكم"[٢].

ولابد أن نعلم أن سنة الإهلاك تسبقها سنة الاستدراج؛ وذلك أن الله يستدرج تلك الأقوام تارة بالشدائد والمصائب، وتارة بالرخاء والنعم، لعلهم يعودوا إليه، ويفيقوا مما هم فيه، ويدل على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام:٤٢- ٤٥]، يقول المراغي -عند تفسيره لهذه الآيات-:"سلط عليهم المكاره والشدائد ليعتبروا ويتعظوا، فلما لم تجد معهم شيئا نقلهم إلى حال هي ضدها ففتح عليهم أبواب الخيرات وسهل لهم سبل الرزق والرخاء فلم ينتفعوا أيضا،

---

(١) هو أبرهة الاشرم، أول ملك من الحبشة افتتح اليمن وملكها، وهو الذي أراد هدم البيت، فسار إليه ومعه الفيل، فأهلك الله جيشه بطير أبابيل، ووقعت في جسده الآكلة، فحمل إلى اليمن فهلك بها، وفي ذلك العصر ولد النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء - الجمهورية العربية اليمنية، الطبعة: الأولى، ١٣٤٧ هـ، (ص: ٣١٤).

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، (٥/ ٣٨).

وما مثل هذا إلا مثل الأب المشفق على ولده يخاشنه تارة، ويلاينه أخرى طلبا لصلاحه واستقامة حاله وإرجاعا له عن غيه وطغيانه، حتى إذا ظنوا أن الذي أوتوا إنما هو باستحقاقهم ولم يزدهم ذلك إلا بطرا وغرورا، أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كونهم مبغوتين، إذ فاجأهم على غرة من غير سبق أمارات ولا إمهال للاستعداد أو للهرب"[١]، وهذا التنويع إنما هو من باب رحمة الله تعالى بهم، وإشفاقه عليهم، وإلا فهو غني عنهم لا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم.

وقبل الحديث عن سنة الإهلاك، علينا أن نبين معنى الإهلاك في اللغة، ثم بيان معانيه ودلالاته في القرآن الكريم.

- المعنى اللغوي للإهلاك:

الإهلاك مصدر للفعل (هلك)، قال ابن فارس: "الهاء واللام والكاف: يدل على كسر وسقوط. منه الهلاك: السقوط، ولذلك يقال للميت هلك، واهتلكت القطاة خوف البازي: رمت بنفسها على المهالك"[٢].

وقال ابن منظور[٣] في معجمه لسان العرب: "هَلَكَ يَهْلِكُ هُلْكاً وهَلْكاً وهَلاكاً: مات"[٤].

وجاء في كتاب مختار الصحاح: "(هَلَكَ) الشيء يهلك بالكسر (هَلَاكًا) و (هُلُوكًا) و (مَهْلِكًا) بفتح اللام وكسرها وضمها، و (تَهْلُكَةً) بضم اللام، والاسم (الْهُلْكُ) بالضم، و (هَلَكَهُ) في لغة تميم بمعنى (أَهْلَكَهُ)"[٥].

ومن العرض السابق نجد أن اللغويين مهما اختلفت طرقهم في بيان معنى مادة(هَلَكَ) فإنهم يخلصون إلى حقيقة استعمالها اللغوي في: الإماتة والإفناء، وفي العقاب، وفي الإفساد، وهي في

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (٧/ ١٢٤،١٢٥).

(٢) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (٦/ ٦٢).

(٣) هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، صاحب لسان العرب في اللغة، ولد سنة: (٦٣٠هـ)، خدم في ديوان الإنشاء مدة عمره، وولي قضاء طرابلس، وكان صدرا رئيسا، فاضلا في الأدب، مليح الإنشاء، وكان عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، اختصر تاريخ دمشق في نحو ربعه، وعنده تشيع بلا رفض، مات سنة: (٧١١هـ). ينظر: السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (١/ ٢٤٨).

(٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة هلك، (١٠/ ٥٠٣).

(٥) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (ص: ٣٢٧).

كل معانيها تخلص إلى حالين اثنين أن الهلاك إما هلاك كلي، وإما هلاك جزئي.

وتأتي مادة (هلك) في القرآن الكريم بمعان متعددة منها:

١- هلك بمعنى الموت، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾[النساء:١٧٦]، أي: إن إنسان من الناس مات"[(١)].

ومنه قوله تعالى:﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[النمل:٤٩]، قال ابن عاشور: والمهلك: مصدر ميمي من أهلك الرباعي، أي شهدنا إهلاك من أهلكهم[(٢)].

٢- هلك بمعنى العذاب والعقاب، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنعام:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾[الأعراف:٤]، قال القرطبي[(٣)]: "أهلكناها بإرسالنا ملائكة العذاب إليها، فجاءها بأسنا وهو الاستئصال"[(٤)].

٣- هلك بمعنى تاه وذهب، قال تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[الحاقة:٢٩]، أي "ذهب ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا"[(٥)].

٤- هلك بمعنى الإفساد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[البقرة:٢٠٥]، قال ابن عطية[(٦)]: "والظاهر أن الآية عبارة عن

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (٩/ ٤٣٠).

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٩/ ٢٨٣).

(٣) هو الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، منها: الجامع لأحكام القرآن، وهو تفسير عظيم في بابه، وله كتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكرة، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه، توفي سنة: (٦٧١ هـ). ينظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، (١٥/ ٢٢٩)، وينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (٢/ ٨٧).

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٧/ ١٦٣).

(٥) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٣٠/ ٦٣٠).

(٦) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية،

مبالغة في الإفساد"[١].

وقال الرازي: "معناه وإذا انصرف من عندك سعى في الأرض بالفساد"[٢].

٥- هلك بمعنى الكفر، قال تعالى: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾[الأنفال:٤٢]، قال القرطبي نقلا عن ابن إسحاق: "ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره، ويؤمن من آمن على ذلك"[٣].

وخلاصة القول أن الإهلاك في القرآن الكريم إما أن يكون للاستئصال أو دون الاستئصال والغالب في الآيات التي وردت فيها مادة (هلك) تدل على الاستئصال الكلي.

- الآيات التي تدل على هذه السنة من سورة الأحزاب وأقوال المفسرين فيها:

قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا﴾[الأحزاب:٢٥].

قال صاحب التحرير والتنوير هذه الآية "عطف على جملة ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾[الأحزاب:٩]، وهو الأنسب بسياق الآيات بعدها، أي أرسل الله عليهم ريحا وردهم"[٤].

يقول المراغي عند تفسيره لهذه الآية: "أي فأرسلنا ريحا وجنودا لم تروها، ورددنا الذين كفروا بالله ورسوله من قريش وغطفان بغمهم، بفوت ما أملوا من الظفر، وخيبتهم فيما كانوا طمعوا فيه من الغلبة والنصر على محمد وصحبه، ولم يحتج المؤمنون إلى منازلتهم ومبارزتهم لإجلائهم عن بلادهم، بل كفى الله المؤمنين القتال، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء

الأندلسية، ولد سنة: (٤٨١هـ)، كان فقيها، نبيها، عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، أديبا بارعا، شاعرا، لغويا ضابطا، ألف كتابه المسمى بـ الوجيز في التفسير؛ فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف، توفي سنة: (٥٤١هـ). ينظر: النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة – بيروت/لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص: ١٠٩).

(١) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، (١/ ٢٨٠).

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٥/ ٣٤٦).

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٨/ ٢٢).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢١/ ٣٠٩).

بعده"[١].

ويقول السعدي: "ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بعددهم وعددهم، فأرسل الله عليهم، ريحا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين"[٢].

ويختم ابن كثير تفسيره للآية عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[الأحزاب:٢٥] "أي: بحوله وقوته، ردهم خائبين، لم ينالوا خيرا، وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والمنة"[٣].

وهكذا تتجلى حكمة الله تعالى في هزيمة المكذبين والمعاندين، وتنويع العذاب عليهم بما يستحقونه، يقول ابن كثير: "سلط عليهم هواء فرق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى"[٤] وهذه سنته في المكذبين على مر العصور والدهور.

- الآيات التي تؤكد هذه السنة من غير سورة الأحزاب، وأقوال المفسرين فيها:

وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبين أن إهلاك الكافرين سنة من سنن الله تعالى في خلقه، نكتفي بذكر ثلاث آيات منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:٣٨]، "أي وإن يعودوا إلى العداء والصد والقتال تجر عليهم سننه المطردة في أمثال لهم من الأولين الذين عادوا الرسل وقاتلوهم، من نصر المؤمنين وخذلانهم وهلاكهم كما حدث لهم يوم بدر"[٥].

ويقول ابن كثير: "أي: فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم، أنا

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (٢١/ ١٤٨).
(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٦٦٢).
(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٦/ ٣٩٦).
(٤) المصدر السابق، (٦/ ٣٩٥).
(٥) المراغي، **تفسير المراغي**، (٩/ ٢٠٧).

نعاجلهم بالعذاب والعقوبة"[١].

ويقول صاحب المنار: أي: تجري عليهم سنته المطردة في أمثالهم من الأولين الذين عادوا وقاتلوهم[٢].

ومن خلال أقوال المفسرين يتبين أن المراد من سنة الأولين في الآية هو سنة الله في إهلاك أعداء الرسل والدعاة في كل زمان ومكان، "وما جرى للمكذبين بالأمس سيجري مثله للمكذبين اليوم وغدا؛ ذلك كي تطمئن قلوب الجماعة المسلمة إلى العاقبة من جهة، وكي تحذر الانزلاق مع المكذبين من جهة أخرى، وقد كان هنالك ما يدعو إلى الطمأنينة وما يدعو إلى التحذير"[٣].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧].

يقول الرازي عند تفسيره لهذه الآية: "الأكثرون من المفسرين على أن المراد سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:١٣٧]، وذلك لأنهم خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها، ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة عليهم، فرغب الله تعالى أمة محمد -ﷺ- في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسله والإعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه"[٤].

ويقول ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين: "أي: قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك ما كان من تكذيبهم بآيات الله ورسله، وهم الأصل وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك"[٥].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٥٥).
(٢) رضا، **تفسير المنار**، (٩/ ٥٥٢).
(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٧٩).
(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٩/ ٣٧٠).
(٥) ابن القيم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (١/ ١٠٤).

بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾[الأنعام:٦].

يبين الله –ﷻ– في هذه الآية أحد أهم الأسباب التي توجب الهلاك على الكافرين، وهي الذنوب والانغماس فيها، فما فشت الذنوب في أمة إلا استحقت بذلك العقاب من الله تعالى.

يعلق سيد قطب على الآية بقوله: "إنه يقرر حقيقة أن الذنوب تهلك أصحابها، وأن الله هو الذي يهلك المذنبين بذنوبهم وأن هذه سنة ماضية– ولو لم يرها فرد في عمره القصير، أو جيل في أجله المحدود– ولكنها سنة تصير إليها الأمم حين تفشو فيها الذنوب وحين تقوم حياتها على الذنوب...، وأمامنا الشواهد الكافية من فعل هذا كله في انهيار الإغريق والرومان– وقد أصبحوا أحاديث– وفي الانهيار الذي تتجلى أوائله، وتلوح نهايته في الأفق في أمم معاصرة، كفرنسا وانجلترا كذلك– على الرغم من القوة الظاهرة والثراء العريض"(١).

ومما سبق يتبين أن الذنوب هي السبب الرئيس في إهلاك الله للأمم، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾[الإسراء:١٧]، والآية تدل – كما يقول الزمخشري–: "على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير، وأنه عالم بها ومعاقب عليها"(٢).

كما أن هناك أسبابا أخرى توجب العقاب والعذاب منها:

١– **الوقوع في الشرك،** قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[يونس:١٣]، والمراد بالظلم في الآية الشرك، وقد فسره النبي –ﷺ– بذلك، والمعنى من الآية، "ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه"(٣).

٢– **تفشي الظلم فيما بين الناس،** قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ١٠٣٨).
(٢) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (٢/ ٦٥٥).
(٣) الطبري، **جامع البيان**، (١٥/ ٣٧).

مُصۡلِحُونَ﴾[هود:١١٧]، قيل في معنى هذه الآية أن الله تعالى لا يهلك القرى بسبب شركهم بالله وهم مع ذلك لا يتظالمون فيما بينهم، ولكنه يهلكهم إذا تظالموا وفشى هذا الأمر فيما بينهم(١).

ويتضح من ذلك أن غياب العدل وإحلال الظلم مكانه، سبب من أسباب إهلاك الله تعالى للأمم سواء كانت مؤمنة أم كافرة.

٣- **انتشار الفساد في الأرض،** فمن سنة الله تعالى في خلقه أن جعل هلاك الأمم بفسق مترفيها، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾[الإسراء:١٦]، والمعنى "أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد لله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج"(٢).

"وإنما خص المترفين، وهم الجبارون والملوك والرؤساء، بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل، لأنهم الأصل في الخطاب والباقي تبع لهم، ولأن توجه الأمر إليهم آكد"(٣).

وقد مضت سنة الله في المترفين الذين أبطرتهم النعمة وابتعدوا عن شرع الله تعالى بالهلاك، جزاء أفعالهم التي لم تقتصر على أنفسهم فحسب، بل تعدت إلى غيرهم، فصاروا في الغواية سواء.

٤- **الركون إلى الظالمين والميل إليهم،** جاء في تفسير المنار عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود:١١٣] "أن الطغيان والركون إلى الظالمين من أسباب هلاك الأمم وحرمانهم من النصر على أعدائهم"(٤).

٥- **الاختلاف المذموم،** ومن أسباب هلاك الأمم والشعوب الاختلاف المذموم المؤدي إلى التفرقة، جاء في حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «لا تختلفوا، فإن من

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان،** (١٥/ ٥٣٠).

(٢) الطبري، **جامع البيان،** (١٧/ ٤٠٦).

(٣) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل،** تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، (٦/ ٤٥١).

(٤) رضا، **تفسير المنار،** (١٢/ ٢٠٢).

كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[١]، وفي رواية «فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا»[٢]، "وفي الحديث الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، البخاري، **صحيح البخاري**، (٣/ ١٢٠، رقم: ٢٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، البخاري، **صحيح البخاري**، (٦/ ١٩٨، رقم: ٥٠٦٢).

(٣) ينظر: ابن حجر، **فتح الباري**، (٩/ ١٠٢،١٠٣).

الفصل الثالث: سنن الله في الأنبياء والرسل، وفي أعدائهم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: سنة الله في الأنبياء والرسل.

المبحث الثاني: سنة الله تعالى في أعداء الأنبياء والرسل.

المبحث الأول: سنة الله في الأنبياء والرسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سنة الله تعالى الخَلقية في الأنبياء والرسل.

المطلب الثاني: سنة الله تعالى الاجتماعية في الأنبياء والرسل.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى الدعوية في الأنبياء والرسل.

المطلب الأول: سنة الله تعالى الخَلقية في الأنبياء والرسل:

هناك سنن سنها الله تعالى في أنبيائه ورسله خاصة، منها ماهي خَلقية، ومنها ما هي اجتماعية، ومنها ما هي دعوية، ومنها ما هي غير ما ذكرنا، ونحن الآن بصدد ذكر السنن الخلقية، وقبل الحديث عن هذا الأمر سنتطرق إلى ذكر الآيات التي تحدثت عن سنة الله في الأنبياء والرسل من خلال سورة الأحزاب، وإن كانت تتحدث عن السنن الاجتماعية في الرسل، إلا أننا نسير بمنهجية ثابتة ولا نريد أن نحيز عنها، ثم سنتطرق إلى ذكر سائر السنن التي تتعلق بالأنبياء والرسل المبثوثة في ثنايا القرآن مقسميها إلى خلقية واجتماعية ودعوية.

- الآيات الدالة على هذه السنة من خلال سورة الأحزاب وأقوال المفسرين فيها:

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨].

من خلال هذه الآية يبين الله تعالى أن تناول المباحات من سنن الأنبياء، يقول الطبري: "لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له"(١)

وسبب نزول الآية أن النبي -ﷺ- لما تزوج زينب بنت جحش -رضي الله عنها- بعد مولاه زيد بن حارثة، انطلقت ألسنة المنافقين في ذلك، فقالوا تزوج حليلة ابنه، فأراد الله -ﷻ- أن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء، وأن يبرهن ذلك عمليا، وكذلك يبين أنه لا حرج عليه في التعدد بالنساء.

قال القرطبي: "أعلمهم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء أن ينالوا ما أحله لهم، أي سن لمحمد -ﷺ- التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية، كداود وسليمان"(٢).

وقال الزمخشري: "سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين، وهو أن لا يحرج عليهم في الإقدام

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (٢٠/ ٢٧٦).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٤/ ١٩٥).

على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره"[١].

وبعد هذه اللمحة في ذكر الآية التي تتحدث عن سنة الله في الأنبياء والرسل من خلال سورة الأحزاب، نواصل الحديث عن هذه السنن من خلال آيات القرآن الكريم مبتدئين بالسنن الخلقية، ومن تلك السنن:

١- **البشرية:** جرت سنة الله تعالى في أنبياءه ورسله أن يجعلهم من جنس البشر، ومع ذلك اعترض المعترضون في كون الرسل بشرا، فنقرأ عن قوم قوح أنهم قالوا لنبيهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾[هود:٢٧]، وكذلك الأقوام الأخرى، وكان طلبهم أن يكون الرسول ملك، ولكن الله –ﷻ– رد عليهم إنكارهم هذا فقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام: ٨-٩]، "فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة"[٢]، فهم بحاجة إلى رجل من جنسهم يقتدون به في أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم، فالرسول لا يكون إلا من جنس المرسل إليهم، ليحصل الاتصال، ويمكن التلقي، "فتبليغ الرسالة يحتاج إلى مخالطة ومخاطبة، وهنا لا بد أن يتصور لكم الملك في صورة رجل ليؤدي مهمة البلاغ، عن الله، وهكذا نعود من حيث بدأنا؛ لأنها الطبيعة التي لا يمكن لأحد الخروج عنها"[٣].

وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تثبت بشرية الرسل، وتوضح أنهم بشر لم يخرجوا عن نطاق البشرية، وأن ما أتوا به من وحي أو جرى على أيديهم من آيات فإنما هو بقدرة الله وحده، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[إبراهيم:١١]، وقوله تعالى عن نبيه محمد –ﷺ–: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ

---

(١) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (٣/ ٥٤٣).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٦/ ٣٩٤،٣٩٣).

(٣) الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (١٤/ ٨٧٤٩).

أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠].

ومعنى أن الأنبياء والرسل بشر يقتضي أنهم يمارسون ما يمارسه البشر، وهو ما أكده القرآن الكريم في مواضع متفرقة، فذكر أنهم يأكلون ويشربون ويمشون ويمرضون ويموتون كغيرهم من البشر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾[الفرقان:٢٠].

"وعبر بالمضارع في يأكلون ويمشون؛ لأن ذلك من ضروريات بشريتهم، فهو يتجدد ويتكرر منهم، وأكل الطعام والمشي في الأسواق كناية عن البشرية، لأنهما وصفان لازمان لها"(١).

وقال الله عن نبيه إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾[الشعراء:٧٨-٨١]، وقال سبحانه عن نبيه محمد -ﷺ- مبينا أن هذه سنته في الرسل كلهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٤]، وفي الآية "بيان أن الأنبياء والرسل كسائر البشر في الخضوع لسنن الله ونظام خلقه"(٢).

وعليه "فأن الرسل وإن كانوا موافقين لنا في الخلقة البشرية، فإنهم مباينون لنا غاية المباينة في الخلقة النفسية، من حيث الطهر والكمال فنفوسهم بقيت على طهرها لم تدنس بشيء، ونفوسنا لا تخلو من تدنس، والموفق من داوم على غسلها بالتوبة وتحليتها بالصالحات"(٣).

٢- **الذكورية:** بينا في النقطة السابقة أن الرسل بشر، وهنا سنبين أن سنة الله تعالى اقتضت بأن يكون الرسل رجالا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾[يوسف:١٠٩]، قال القرطبي: "أي أرسلنا رجالا ليس فيهم امرأة ولا جني ولا ملك"(٤)،

---

(١) ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (ص: ١٦١).

(٢) رضا، **تفسير المنار**، (٤/ ١٣٤).

(٣) ابن باديس، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، (ص: ١٦٣، ١٦٤).

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٩/ ٢٧٤).

وقال ابن كثير: "إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة"[١].

كما رد ابن كثير على من زعم أن هناك من النساء نبيات كسارة امرأة إبراهيم، وأم موسى، ومريم بنت عمران، فقال: "الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري[٢] عنهم: أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾[المائدة:٧٥]، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن"[٣].

وقد كانت بعثة الأنبياء من الرجال دون النساء أمرا معروفا عند العرب، حتى قال قيس بن عاصم[٤] في سجاح[٥] المتنبئة:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

فلعنة الله والأقوام كلهم ... على سجاح ومن باللوم أغرانا[٦]

وقال البيضاوي[٧] عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۗ فَسۡـَٔلُوٓاْ

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٤٢٢).

(٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، إمام المتكلمين، ولد سنة: (٢٦٠هـ)، برع في معرفة الاعتزال، ثم تاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم، له تصانيف جمة تقضي له بسعة العلم، منها: (الفصول في الرد على الملحدين)، وهو اثنا عشر كتابا، وكتاب (الموجز)، وكتاب (اللمع في الرد على أهل البدع)، توفي رحمه الله تعالى ببغداد سنة: (٣٢٤هـ). ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (١٥/ ٨٥-٨٧).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٤٢٣).

(٤) هو قيس بن عاصم بن سنان المقريزي السعدي التميمي، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم، كان شاعرا، وفد على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في وفد تميم سنة: (٩هـ) فأسلم، وقال النبي -صلى الله وآله وسلم- لما رآه: (هذا سيد أهل الوبر)، وقد نزل البصرة في أواخر أيامه وتوفي بها نحو: (٢٠هـ). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (٥/ ٢٠٦).

(٥) هي سجاح بنت الحارث التميمية التي ادعت النبوة في الردة، وتبعها قومها، ثم صالحت مسيلمة وتزوجته، ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت، وعاشت إلى خلافة معاوية. ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، (٨/ ١٩٨).

(٦) الشوكاني، **فتح القدير**، (٣/ ٧٢).

(٧) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، قاض، مفسر، ولد في المدينة البيضاء (بفارس – قرب شيراز)

أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]: "جرت السنة الإلهية بأن لا يبعث للدعوة العامة إلا بشرا يوحي إليه على ألسنة الملائكة...، وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة"(١)

٣- **بعث الرسول بلسان قومه:** اقتضت سنة الله تعالى بأن يبعث الرسول بلسان قومه؛ وذلك ليسهل البلاغ، ويتم التخاطب، وتقام الحجة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[إبراهيم:٤].

قال ابن كثير: "وقد كانت هذه سنة الله في خلقه أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس"(٢).

"والنبي -ﷺ- وإن أرسل إلى الناس جميعا، ولغاتهم متباينة، وألسنتهم مختلفة، فإرساله بلسان قومه أولى من إرساله بلسان غيرهم، لأنهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه لهم، حتى يصير مفهوما لهم كما فهموه(٣).

وأوضح صاحب أضواء البيان بأنه "لا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل، فبقى أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول، لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم"(٤)

"ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي -ﷺ- ترجمة

شيراز) وولي قضاء شيراز مدة، وبعد أن صرف عن القضاء رحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة: (٦٨٥ هـ)، له مصنفات متنوعة منها: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، و طوالع الأنوار في التوحيد، و منهاج الوصول إلى علم الأصول. ينظر: الزركلي: **الأعلام**، (٤/ ١١٠).

(١) البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، (٣/ ٢٢٧).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٤٧٧).

(٣) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٣/ ١٢٦).

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، (٢/ ٢٤١).

يفهمها لزمته الحجة"[١]، وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ– قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[٢].

قال القاضي أبو محمد[٣]: "فإن اعترض أعجمي بأن يقول: من أين يبين لي هذا الرسول الشريعة وأنا لا أفهمه؟ قيل له: أهل المعرفة باللسان يعبرون ذلك، وفي ذلك كفايتك.

فإن قال: ومن أين تتبين لي المعجزة وأفهم الإعجاز وأنا لا أفقه اللغة؟ قيل له: الحجة عليك إذعان أهل الفصاحة والذين كانوا يظن بهم أنهم قادرون على المعارضة وبإذعانهم قامت الحجة على البشر، كما قامت الحجة في معجزة موسى بإذعان السحرة، وفي معجزة عيسى بإذعان الأطباء"[٤].

٤- **بعث الرسول من أهل الأمصار دون أهل البوادي،** قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾[يوسف:١٠٩]، قال ابن كثير: "المراد بالقرى: المدن، لا أنهم من أهل البوادي، الذين هم أجفى الناس طباعا وأخلاقا، وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعا، وألطف من أهل سوادهم، وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البوادي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[التوبة:٩٧]"[٥].

قال العلماء: من شرط الرسول أن يكون رجلا آدميا مدنيا[٦].

- ولكن ما الحكمة في اختيار الله الرسول من أهل المدن دون أهل البوادي؟

ذكر المفسرون جانبا من هذه الحكم في ثنايا تفاسيرهم، نذكر بعضها:

قال قتادة: "ما نعلم أن الله أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحكم من أهل

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٩/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، مسلم، **صحيح مسلم**، (١/ ١٣٤، رقم: ١٥٣).

(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عطية. سبق ترجمته (ص: ١٢٠).

(٤) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (٣/ ٣٢٣).

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٤٢٣).

(٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٩/ ٢٧٤).

العمود[١]"[٢].

وقال صاحب الكشاف: "لأنهم أعلم وأحلم، وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة"[٣].

ويضيف سيد قطب في تفسيره فيقول: "إنما كانوا بشرا مثلك من أهل الحاضرة، لا من أهل البادية، ليكونوا أرق حاشية وألين جانبا، وأصبر على احتمال تكاليف الدعوة والهداية"[٤].

ومعلوم أن أهل البادية يغلب عليهم الغلظة والقسوة بينما أهل المدن يغلب عليهم الرأفة والرحمة واللين، وبالتالي يكونوا أصبر على تحمل مشاق الدعوة، وألين قلوبا، وأرحم الناس بالناس.

المطلب الثاني: سنة الله تعالى الاجتماعية في الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل كغيرهم من البشر لا يكادون يخرجون عن الخصائص الاجتماعية التي يمارسها البشر فهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويأتون الزوجات، ويولد لهم، ويمارسون الأعمال التجارية وغير ذلك، وهنا تتجلى حكمة الله تعالى في اختيار الرسل من البشر كي يقتدي الناس بهم ويأخذوا منهم أمور دينهم ودنياهم، ولو كان حالهم غير ذلك للتبس على الناس كثير من أمورهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام:٩].

ولابد من التفصيل لهذه السنن الاجتماعية التي سنها الله تعالى لأنبيائه ورسله عليهم جميعا الصلاة والسلام، ومن تلك السنن:

١- **النكاح:** الأنبياء والرسل يتزوجون كما يتزوج غيرهم من البشر، بل ويعددون ما شاء الله لهم أن يعددوا، وهذا عادة الله تعالى فيهم كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد:٣٨]، أي "إن الرسل الذين أرسلناهم قبلك هم من جنس البشر لهم أزواج من النساء ولهم ذرية توالدوا منهم ومن أزواجهم، ولم نرسل الرسل من الملائكة الذين لا يتزوجون ولا يكون لهم ذرية، وفي هذا رد على من كان ينكر على رسول الله -ﷺ- تزوجه

---

(١) العمود: هو الخشبة القائمة في وسط الخباء، والأخبية بيوت أهل البادية، قال ابن منظور: يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها هم أهل عمود وأهل عماد. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٣/ ٣٠٣).

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور**، الناشر: دار الفكر – بيروت، (٤/ ٥٩٥).

(٣) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (٢/ ٥٠٩).

(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٤/ ٢٠٣٥).

بالنساء"[١].

قال القرطبي: "هذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه، وتنهى عن التبتل، وهو ترك النكاح، وهذه سنة المرسلين كما نصت عليه هذه الآية"[٢].

وعندما تزوج النبي -ﷺ- بزينب بنت جحش -رضي الله عنها- بين سبحانه لنبيه بأن لا حرج عليه في التوسعة في النكاح، وأن ذلك سنته في أنبيائه السابقين فقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨].

"ولما عاب اليهود على النبي -ﷺ- الأزواج أنزل الله هذه الآية:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد:٣٨] وذكرهم بما كان عليه داوود وسليمان عليهما السلام"[٣]، وقد كان لنبي الله داوود -عليه السلام- مائة امرأة، كما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -ﷺ- قال: «قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرسانا أجمعون»[٤]، والحديث يوضح سنة الأنبياء في التعدد، وفيه رد على من عاب على النبي -ﷺ- تعدده بالنساء.

قال السعدي: "فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟"[٥].

وقد بين النبي -ﷺ- أن الزواج من سنته فقال لمن سأل عن عبادته واستقلها: «أما والله إني

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير**، (٣/ ١٠٥).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٩/ ٣٢٧).

(٣) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٩/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من طلب الولد للجهاد، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ٢٢ رقم: ٢٨١٩).

(٥) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٤١٩).

لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»"[١].

٢- **ممارستهم لبعض المهن:** مارس الأنبياء بعضا من المهن، فقد عمل نوح في النجارة، وعمل موسى في رعي الغنم، وعمل داوود في صناعة الدروع، وهذا يدل على اعتمادهم على أنفسهم، وعلى أنه لا أفضل من أن يأكل المسلم من عمل يده، فعن المقدام -ﷺ- عن رسول الله -ﷺ- قال: «ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود -عليه السلام- كان يأكل من عمل يده»[٢].

جاء في شرح السنة للبغوي[٣]: "أن الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا وملوكها، لكن في رعاء الشاء وأهل التواضع من أصحاب الحرف، كما روي أن أيوب كان خياطا، وزكريا كان نجارا، وقد قص الله -ﷻ- من نبإ موسى، وكونه أجيرا لشعيب عليهما السلام في رعي الغنم ما قص"[٤].

- بيان بعض المهن التي مارسها الأنبياء:

أ- رعي الأغنام:

خاطب الله تعالى نبيه موسى -عليه السلام- فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[طه:١٧-١٨]، هذه الآية توضح أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، البخاري، **صحيح البخاري**، (٧/ ٢ رقم: ٥٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، البخاري، **صحيح البخاري**، (٣/ ٥٧ رقم: ٢٠٧٢).

(٣) هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، لقب بمحي السنة، كان إماما جليلا ورعا زاهد فقيها محدثا مفسرا، جامعا بين العلم والعمل، سالكا سبيل السلف، له في الفقه اليد الباسطة، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، من مصنفاته شرح السنة، والمصابيح، والتفسير المسمى معالم التنزيل، وله فتاوى مشهورة، توفي -رحمه الله- سنة: (٥١٦هـ). ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، (٧/ ٧٥-٧٧).

(٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (١١/ ٣٣٤).

موسى –عليه السلام– كان راعيا، وثبت عن نبينا محمد –ﷺ– أنه كان يرعى لأهل مكة الغنم على قراريط[١] كانت تعطى له، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[٢]، وبين عليه الصلاة والسلام أن رعي الغنم سنة الله في الأنبياء كما في حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: كنا مع رسول الله –ﷺ– نجني الكباث[٣]، وإن رسول الله –ﷺ– قال: «عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه» قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها»[٤].

"ومن حكمة الله في ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هرب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال"[٥].

وقال ابن بطال[٦] في شرحه لصحيح البخاري مبينا الحكمة من رعي الأنبياء للغنم: "أن ذلك توطئة وتقدمة في تعريفه سياسة العباد، واعتبارًا بأحوال رعاة الغنم، وما يجب على راعيها من اختيار الكلأ لها، وإيرادها أفضل مواردها، واختيار المسرح والمراح لها، وجبر كسيرها، والرفق

---

(١) القراريط: جمع قيراط. قال الجوهري: هو نصف دانق، وقال أبو السعادات: القيراط: نصف عشر الدينار في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزءًا من أربعة وعشرين جزءًا، وقيل: هو موضع بمكة. البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، (ص: ٣٧٠)، و الصديقي، محمد طاهر بن علي، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، (٤/ ٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، البخاري، **صحيح البخاري**، (٣/ ٨٨ رقم: ٢٢٦٢).

(٣) الكباث: نضيج ثمر الأراك، وقيل: هو ما لم ينضج منه، وقيل: هو حمله إذا كان متفرقا، واحدته: كباثة. ابن منظور، **لسان العرب**، (٢/ ١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (يعكفون على أصنام لهم)، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٥٧ رقم: ٣٤٠٦).

(٥) الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى، **روح البيان**، الناشر: دار الفكر - بيروت، (٥/ ٥٠٩).

(٦) هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف: بابن اللجام، كان من أهل العلم العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، وله شرح على صحيح البخاري، توفي –رحمه الله– سنة: (٤٤٩هـ). ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (١٨/ ٤٧).

بضعيفها، ومعرفة أعيانها وحسن تعهدها، فإذا وقف على هذه الأمور كانت مثالاً لرعاية العباد، وهذه حكمة بالغة"(١).

وقال صاحب فتح الباري: "والذي قاله الأئمة إن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع وتعتاد قلوبهم بالخلوة ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم"(٢).

وقال صاحب تفسير روح البيان: " وحينئذ لا ينبغي لأحد عير برعاية الغنم أن يقول كان النبي -عليه السلام- يرعى الغنم فإن قال ذلك أدب؛ لأن ذلك كما علمت كمال في حق الأنبياء دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به، ويجرى ذلك في كل ما يكون كمالا في حقه -عليه السلام- دون غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمي فقال كان -عليه السلام- أميا يؤدب..."(٣).

ب- صناعة دروع الحرب:

قال الله تعالى عن نبيه داوود -عليه السلام-: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[الأنبياء:٨٠]، "أي عمل الدروع الملبوسة، قيل كانت الدروع قبله صفائح، فحلقها وسردها، أي جعلها حلقا وأدخل بعضها في بعض كما قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِۖ ﴾[سبأ: ١٠- ١١] ، أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار، ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة، ولهذا قال لتحصنكم من بأسكم أي لتحفظكم من جراحات قتالكم"(٤).

قال القرطبي: "هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة...، فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس"(٥).

جـ- ممارسة التجارة:

---

(١) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٦/ ٣٨٦).

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، (٦/ ٤٣٩).

(٣) الإستانبولي، **روح البيان**، (٥/ ٥٠٩).

(٤) القاسمي، **محاسن التأويل**، (٧/ ٢١١).

(٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١١/ ٣٢١).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾[الفرقان:٢٠].

نزلت هذه الآية بعد استنكار الكفار وتعجبهم من حالة الرسول ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[الفرقان:٧]، فبين الله تعالى أن هذه الحالة عادة مستمرة منه لكل رسله فلا وجه لهذا الطعن ولا لداعي للاستنكار والتعجب، فهم بشر مثلكم يعملون ما تعملون من المباحات التي أباحها الله لهم.

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾: "أي: للتكسب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله ﷻ"(١)، وقال صاحب التفسير الوسيط: "ويمشون في الأسواق كما يمشى غيرهم من الناس، طلبا للرزق"(٢).

وقد تاجر نبينا محمد -ﷺ- بمال خديجة -رضي الله عنها- قبل بعثته كما روى ذلك ابن إسحاق فقد "كانت خديجة ابنة خويلد إمرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله -ﷺ- ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجرا إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله منها رسول الله ﷺ، وخرج في مالها ذلك، فتاجر به وربح به مالا عظيما وحصلت فيه البركة"(٣).

كل ما ذكرنا يدل على أن كل نبي عمل في ما كان يرغب فيه ويتقنه، ولا حرج في ذلك ما دام أنه من المباحات، وأنه بذلك يعف نفسه ويكفها عن سؤال الناس، وفيه درس لكل مسلم بأن يتخذ لنفسه حرفة أو مهنة يغني بها نفسه ويعول بها أهله وهو بذلك مأجور بإذن الله.

هذه سنة الله تعالى الاجتماعية في أنبياءه ورسله، والتي تدل على أن الأنبياء والرسل بشر

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٦/ ١٠٠).
(٢) طنطاوي، **التفسير الوسيط**، (١٠/ ١٨٣).
(٣) ابن اسحاق، **السير والمغازي**، (ص: ٨١).

يمارسون ما يمارسه البشر فيتزوجون، ويولد لهم، ويعملون في أنواع من المهن، ما يجعلهم يعتمدون على أنفسهم ويأكلون مما عملته أيديهم، وهنا تتجلى حكمة الله تعالى في كون الرسل بشر فيسهل الاقتداء بهم والتخاطب والتعامل معهم.

المطلب الثالث: سنة الله تعالى الدعوية في الأنبياء والرسل:

تحدثنا في المطلبين السابقين عن سنة الله تعالى في الأنبياء والرسل الخلقية، ثم أتبعناها الحديث عن السنن الاجتماعية، وفي هذا المطلب نواصل الحديث عن السنن الدعوية، وكيف كانت دعوة الرسل، والتي يجب على أثرها أن يقتدي العلماء والدعاة والمربون، قال تعالى بعد أن ذكر عددا كبيرا من الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠].

– ومن أبرز السنن الدعوية التي سنها الله تعالى في الأنبياء والرسل ما يلي:

١– **الدعوة الى التوحيد:** التوحيد هو أول دعوة الرسل، وبه يبدأ الإنسان السير إلى الله، ولذلك كانت سنة الله في الرسل أن يبدؤوا في دعوتهم بتصحيح العقيدة للناس، فإذا صلحت العقيدة صلح كل شيء، وإذا فسدت العقيدة فسد كل شيء، وهناك من الآيات الإجمالية والتفصيلية ما يدل على أن جميع الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فمن الآيات المجملات قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، أي "وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي، فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية"(١)، "فالتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس، لا تبديل فيها ولا تحويل، توحيد الإله وتوحيد المعبود، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة"(٢).

ومن الآيات الإجمالية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾[النحل:٣٦].

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١٨/ ٤٢٧).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٤/ ٢٣٧٤).

يقول السعدي مفسرا الآية السابقة: "يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له"(١).

وقال الله لنبيه محمد -ﷺ-: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾[الزُّخرُف:٤٥]، وهذا السؤال يوحي للنبي -ﷺ- بأن "جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد"(٢)، "وحول هذا السؤال ظلال الجواب القاطع من كل رسول، وهي صورة طريفة حقا، وهو أسلوب موح شديد التأثير في القلوب"(٣).

أما الآيات التفصيلية التي تدل على أن دعوة الرسل واحدة، فهي كذلك كثيرة، فهذا نبي الله نوح يدعوا قومه فيقول لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩]، وهذا نبي الله هود يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٦٥]، ويواصل المسير نبي الله صالح فيقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[الأعراف:٧٣]، إلى غير ذلك من الآيات التفصيلية التي تبين أن دعوة الرسل واحدة، وأن أول ما بدأوا به هو توحيد الله تعالى، وهكذا يجب في كل دعوة أن تبدأ في دعوتها بذلك، ثم التدرج في أوامر ونواهي الشرع.

وهو "أمر اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله -ﷻ- سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم ولم يخالف فيه أحد منهم وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط"(٤).

٢- **الدعوة إلى مكارم الأخلاق:** لم يبعث الله رسولا إلا إلى قوم فسدت أخلاقهم، كما فسدت عقائدهم، وعاثوا في الأرض فسادا واستكبارا، وفي هذا الوقت تعمل الرسالة على إصلاح هذا الحال مع الدعوة إلى الإيمان، فهذا صالح -عليه السلام- يحذر قومه من الإفساد في الأرض فيقول

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٤٤٠).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٧/ ٢٣٠).

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٤/ ٢٣٧٤).

(٤) الشوكاني، محمد بن علي، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (ص: ١٤).

لهم: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[الأعراف:٧٤]، ولما شاع الفساد في قوم لوط وانتشر بعث الله إليهم لوطا لينهاهم عن ممارسة الرذيلة، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، وإلى الفطرة السليمة التي خلقهم الله عليها، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾[الأعراف:٨٠-٨١]، ولما كان قوم شعيب مشاع فيهم التطفيف في الكيل والميزان، حذرهم نبيهم من ذلك فقال لهم: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾[الأعراف:٨٥]، فالله أصلح الأرض بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتقرير الشرائع، وكان من سنته في الرسل أن يحافظوا على هذا الإصلاح وأن يدعوا قومهم إلى ذلك، فلا يصح أن تغير نعمة الله -ﷻ- وتستبدل بضدها.

والإفساد الذي حذرت منه الرسل أقوامها شامل يشمل "إفساد الأديان بالكفر والبدعة، وإفساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة والاحتيال، وإفساد العقول بشرب المسكرات ونحوها، وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنى واللواطة والقذف"(١).

لذلك كان من أحد أسباب بعثة النبي محمد -ﷺ- أن بعث ليتمم مكارم الأخلاق كما جاء في حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(٢).

٣- **التبشير والتنذير**: قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[النساء:١٦٥]، "أي: يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب"(٣).

وجاء في الحديث الصحيح «ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله

---

(١) الزحيلي، **التفسير المنير**، (٨/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه الأمام أحمد في مسنده، مسند أبو هريرة رضي الله عنه، ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (١٤/ ٥١٣ رقم:٨٩٥٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (٢/ ٦٧٠)، وقال الألباني: إسناده حسن، الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (١/ ١١٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث، ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (١٤/ ٥١٣)، ورواه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، البخاري، محمد بن إسماعيل، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩، (ص: ١٠٤ رقم:٢٧٣).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ٤٧٥).

المرسلين، مبشرين ومنذرين»[١].

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "العذر هنا بمعنى الإعذار والإنذار قبل أخذهم بالعقوبة ولهذا بعث المرسلين كما قال -ﷻ-: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾[الإسراء:١٥]"[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ﴾[الكهف:٥٦]، قال السعدي في تفسيره لهذه الآية "أي: لم نرسل الرسل عبثا، ولا ليتخذهم الناس أربابا، ولا ليدعوا إلى أنفسهم، بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شر، ويبشرونهم على امتثال ذلك بالثواب العاجل والأجل، وينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والآجل، فقامت بذلك حجة الله على العباد"[٣].

٤- **تأييدهم بالمعجزات:** لكثرة ما يقترحه المشركون على الرسول من إنزال الآيات بين الله تعالى ذلك لهم أنه ليس بوسعه وإنما الآيات والمعجزات من عنده وحده ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[غافر:٧٨]، "أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه، بل إلى الله -ﷻ- يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد"[٤].

وقد ذكر الله تعالى قصص الأنبياء في القرآن في عدة سور ومن تلك السور سورة الأعراف، ونلحظ أن كل نبي يقول لقومه: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾[الأعراف:٧٣]، "أي: قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به"[٥].

وجاء في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة، قال: قال النبي -ﷺ-: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، وغيرها بوضع الحمل، مسلم، **صحيح مسلم**، (٢/ ١١٣٦ رقم:١٤٩٩).

(٢) النووي، **شرح النووي على مسلم**، (١٠/ ١٣٢).

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٤٨٠).

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤/ ٤٦٨).

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ٤٤٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، البخاري، **صحيح**

قال صاحب فتح الباري في شرحه للحديث السابق: "هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة"(١).

"وفي الحديث إشارة إلى معنى دقيق، وهو الوحي المنزل عليه، وهو عبارة عن القرآن العظيم، الذي هو أعظم معجزاته، الذي لا ينقرض بموته، بل يبقى إلى يوم القيامة، وإذا استمر المعجز كثر أتباعه، فيكثرون كل وقت، فلا ينقطع إلى منقرض العالم، وغيره من الأنبياء انقرضت معجزاتهم بموتهم، فلذلك قل تبعهم"(٢).

٥- **اتحاد الدين واختلاف الشرائع:** قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[المائدة:٤٨]، هذه الآية تبين أن لكل أمة شريعتها الخاصة التي شرعها الله لها، ولكن هناك آيات تدل على العمل بشريعة من قبلنا كما في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[الشورى:١٣]، وقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠]، فهل يلزم العمل بشريعة من سبقنا من الأنبياء والرسل؟

قال الرازي: "احتج أكثر العلماء بهذه الآية على أن شرع من قبلنا لا يلزمنا، لأن قوله ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ يدل على أنه يجب أن يكون كل رسول مستقلا بشريعة خاصة، وذلك ينفي كون أمة أحد الرسل مكلفة بشريعة الرسول الآخر، وطريق الجمع أن نقول: النوع الأول من الآيات مصروف إلى ما يتعلق بأصول الدين، والنوع الثاني مصروف إلى ما يتعلق بفروع الدين"(٣).

ويقول الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[النساء:٦٤]: "الآية دالة على أنه لا رسول إلا ومعه شريعة ليكون مطاعا في تلك الشريعة

البخاري، (٦/ ١٨٢ رقم:٤٩٨١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، مسلم، **صحيح مسلم**، (١/ ١٣٤ رقم:١٥٢).

(١) ابن حجر، **فتح الباري**، (٩/ ٦).

(٢) المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن، **المفاتيح في شرح المصابيح**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، (٦/ ٩٠).

(٣) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٢/ ٣٧٢،٣٧٣).

ومتبوعا فيها، إذ لو كان لا يدعو إلا إلى شرع من كان قبله لم يكن هو في الحقيقة مطاعا، بل كان المطاع هو الرسول المتقدم الذي هو الواضع لتلك الشريعة، والله تعالى حكم على كل رسول بأنه مطاع"[١].

وكما ثبت في صحيح البخاري، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٢] "يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه؛ وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة"[٣].

قال صاحب فتح الباري: "ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع"[٤].

- هل هناك فرق بين الشريعة والمنهاج؟

قال الرازي: "قال بعضهم: الشرعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد، والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين، وقال آخرون: بينهما فرق، فالشرعة عبارة عن مطلق الشريعة، والطريقة عبارة عن مكارم الشريعة، وهي المراد بالمنهاج، فالشريعة أول، والطريقة آخر.

وقال المبرد[٥]: الشريعة ابتداء الطريقة، والطريقة المنهاج المستمر، وهذا تقرير ما قلناه، والله

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٠/ ١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾[مريم:١٦]، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١٦٧ رقم:٣٤٤٣).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ١٢٩).

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، (٦/ ٤٨٩).

(٥) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير، كان إماما في النحو واللغة، ولد بالبصرة سنة: (٢١٠هـ)، وأقام بها مدة طويلة قبل أن يصير إلى بغداد، وأملى كتبا كثيرة منها: المدخل إلى علم سيبويه، و المقتضب، و الكامل، و الجامع، توفي سنة: (٢٨٦هـ)، ودفن في مقبرة باب الكوفة. ينظر: التنوخي، المفضل بن محمد بن مسعر، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م،

أعلم بأسرار كلامه"[١].

ولما كان لكل أمة شريعتها ومنهاجها الخاص "أغلق الله- سبحانه- مداخل الشيطان كلها وبخاصة ما يبدو منها خيرا وتأليفا للقلوب وتجميعا للصفوف بالتساهل في شيء من شريعة الله في مقابل إرضاء الجميع! أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف! إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدر الله ألا يكون! فالناس قد خلقوا ولكل منهم استعداد، ولكل منهم مشرب، ولكل منهم منهج، ولكل منهم طريق، ولحكمة من حكم الله خلقوا هكذا مختلفين"[٢].

٦- **فرض طاعتهم على من أرسلوا إليهم:** جرت سنة الله تعالى بأن يرسل الرسل إلى الناس ليطاعوا لا ليعصوا، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾[النساء:٦٤].

يقول صاحب المنار عند تفسيره لهذه الآية: "إننا أرسلنا هذا الرسول على حكمنا، وسنتنا في الرسل قبله أننا لا نرسلهم إلا ليطاعوا بإذن الله تعالى، فمن صد عنهم وخرج عن طاعتهم، أو رغب عن حكمهم كان خارجا عن حكمنا وسنتنا فيهم مرتكبا أكبر الآثام في ذلك"[٣].

ويقول صاحب الظلال: "إن الله قد أرسل رسله ليطاعوا- بإذنه- لا ليخالف عن أمرهم، ولا ليكونوا مجرد وعاظ ومجرد مرشدين، ولا لمجرد التأثر الوجداني، والشعائر التعبدية، فهذا وهم في فهم الدين لا يستقيم مع حكمة الله من إرسال الرسل، وهي إقامة منهج معين للحياة، في واقع الحياة، فالرسول ليس مجرد «واعظ» يلقي كلمته ويمضي لتذهب في الهواء- بلا سلطان- كما يقول المخادعون عن طبيعة الدين وطبيعة الرسل أو كما يفهم الذين لا يفهمون مدلول الدين[٤].

ويستكمل سيد كلامه عن الآية السابقة فيقول: "ومن هنا كان تاريخ الإسلام كما كان.. كان دعوة وبلاغا ونظاما وحكما وخلافة بعد ذلك عن رسول الله -ﷺ- تقوم بقوة الشريعة والنظام، على تنفيذ الشريعة والنظام لتحقيق الطاعة الدائمة للرسول، وتحقيق إرادة الله من إرسال الرسول"[٥].

(ص:٥٣، ٥٤، ٥٩، ٦٢).

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٢/ ٣٧٣).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ٩٠٣).

(٣) رضا، **تفسير المنار**، (٥/ ١٨٩).

(٤) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ٦٩٥، ٦٩٦).

(٥) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ٦٩٦).

٧- **الضعفاء اتباع الرسل:** يظهر ذلك من خلال عددا من الآيات، كقول قوم نوح -عليه السلام-: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[هود:٢٧]، وكذلك قوم ثمود: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٧٥]، وقال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنعام:٥٢]، "ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله -ﷺ- في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك!"[(١)]، فنهاه الله عن ذلك وأمره بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

قال البغوي: "وذلك سنة الله تعالى أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم، كما قال في قصة نوح -عليه السلام-: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[الشعراء:١١١]"[(٢)].

وقال محمد الأمين الشنقيطي[(٣)]: "فإذا عرفت ذلك، فاعلم أنه تعالى أشار إلى أن من حكمة ذلك فتنة بعض الناس ببعض، فإن أهل المكانة والشرف والجاه يقولون: لو كان في هذا الدين خير لما سبقنا إليه هؤلاء ؛ لأنا أحق منهم بكل خير"[(٤)] كما قال سبحانه حاكيا عن المشركين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١١/ ٣٧٤).

(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٣/ ١٨٥).

(٣) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، مفسر، وباحث، من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد بشنقيط سنة: (١٩٠٧م) وتعلم بها، ثم استقر مدرسا في المدينة المنورة، من كتبه: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، توفي بمكة سنة: (١٩٧٣م). ينظر: نويهض، عادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، (٢/ ٤٩٦).

(٤) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (١/ ٤٧٩).

قَدِيمٌ﴾[الأحقاف:١١].

وقد بين ابن الملقن[١] الحكمة من اتباع الضعفاء للرسل دون غيرهم فقال: "وإنما كان أتباع الرسل الضعفاء دون الأشراف؛ لكون الأشراف يأنفون من تقديم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق، وهذا على الغالب، وإلا فقد سبق إلى اتباعه أكابر أشراف دينه كالصديق والفاروق وحمزة وغيرهم، وزيادتهم دليل على صحة النبوة؛ لأنهم يرون الحق كل يوم يتجدد، فيدخل فيه كل يوم طائفة"[٢].

٨- **إخراج أهل الكفر الرسل من أرضهم:** قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[إبراهيم:١٣].

بينت الآية الكريمة أن عادة الكفر مع الرسل التضييق عليهم حتى يخرجوا من أرضهم، وهذا ما نقرأه في قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون، وهو كذلك ما يجسده كلام ورقة بن نوفل[٣] عندما ذكر له النبي -ﷺ- ما يرى فقال: "هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله -ﷺ-: «أو مخرجي هم» فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا"[٤]، وفي هذا تصريح من

---

(١) هو أبو حفص عمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري، ولد سنة: (٧٢٣هـ)، واشتغل بالتصنيف وهو شاب حتى كان أكثر أهل العصر تصنيفًا، من تصانيفه: شرح البخاري، وشرح العمدة، وشرحان على المنهاج وعلى التنبيه، والأشباه والنظائر، وغير ذلك، مات في ربيع الأول سنة: (٨٠٤هـ). ينظر: السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، (١/ ٤٣٨).

(٢) ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٢/ ٣٩٢).

(٣) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، كان ممن رغب عن عبادة الأوثان، وسأل العلماء من أهل الأديان عن الدين الحنيف، وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيقول لها: ما أراه إلا نبي هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى، وقيل: إنه أسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقطع بإسلامه، والصحيح أن ورقة توفي أول ما تبدى جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، (٦٣/ ٣-٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، البخاري، **صحيح البخاري**، (٩/ ٢٩ رقم:٦٩٨٢).

ورقة أن الإخراج عادة أهل الكفر مع رسلها.

ومقابل هذا الإخراج وما يسبقه من استفزاز وتضييق ومحاربة للرسل، تأتي سنة الله تعالى في إهلاك من قاموا بمثل هذا الفعل، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَآ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[الإسراء:٧٦-٧٧]، "أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم أن يأتيهم العذاب"(١).

وقد يقول قائل: ولكن قريش لم يأتهم عذاب الاستئصال كما هو الحال بالأقوام المكذبة، مع أنهم أخرجوا النبي -ﷺ- بنص القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[محمد:١٣]؟

الحقيقة أن النبي -ﷺ- لم يخرج من مكة عنوة كما فعل بالرسل من قبله، وإنما جاءه الأمر بالهجرة فهاجر، وكلمة ﴿لِيُخْرِجُوكَ﴾ تدل على أنهم استخدموا طريقة الاستفزاز كوسيلة يرغموا به النبي -ﷺ- على الخروج مع أنهم لم يقوموا به فعليا، وعن الآية التي في سورة محمد يقول الرازي: "إنهم هموا بإخراجه وهو -عليه السلام- ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله تعالى، فزال التناقض"(٢)، وتبقى سنة الله في الذين آذوه وحرصوا على استفزازه فكان مصيرهم القتل يوم بدر.

قال مجاهد: "هموا بإخراج النبي -ﷺ- من مكة، ولو فعلوا ذلك ما أمهلوا، ولكن الله منعهم من إخراجه، حتى أمره الله بالخروج، ثم إنه قل لبثهم بعد خروج النبي -ﷺ- من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر"(٣).

ونصوص القرآن الحاكية عن سنن الله في رسله الدعوية كثيرة جدا ولا يتسع المقام لبسطها ولكن حسبنا ما ذكرنا، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد سنن أخرى لم نذكرها هنا، منها ما تركناه خشية التطويل، ومنها ما غفلنا عنها، ولا ندعي الكمال، فالكمال لله وحده، ونسأله أن يتجاوز عنا.

---

(١) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٥/ ٨٠).
(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٢١/ ٣٨١).
(٣) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٢١/ ٣٨١).

المبحث الثاني: سنن الله تعالى في أعداء الأنبياء والرسل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سنة الله تعالى في اليهود.

المطلب الثاني: سنة الله تعالى في المنافقين.

المطلب الأول: سنة الله تعالى في اليهود:

إذا جُمعت آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن اليهود وعن مكرهم وكيدهم وعدائهم فإنها تشكل بمجموعها النظرة الكلية لهذا النوع من الناس، وتترجم لنا عن تفكيرهم وعن طريقة تعاملهم وعن نظرتهم إلى الأجناس الأخرى، كما تكون عند المسلم نظرة عن سوء أدب هذا الجنس مع الله تبارك وتعالى، ومع الأنبياء والرسل، ومع الكتب السماوية، وفي المجمل تجد القرآن يتحدث عن اليهود من خلال ثلاثة أمور: عن تاريخهم وعن صفاتهم وعن عاقبتهم، وكل السنن التي سنذكرها لا تخرج عن هذه الأمور.

- سنة الله تعالى في اليهود من خلال سورة الأحزاب، وأقوال المفسرين فيها:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾[الأحزاب:٢٦-٢٧].

قال صاحب فتح القدير: "أي: عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله -ﷺ- وهم بنو قريظة، فإنهم عاونوا الأحزاب ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله -ﷺ- وصاروا يدا واحدة مع الأحزاب"(١).

فبعد أن هزم الله الأحزاب أراد الله تعالى أن يمضي سنته في اليهود الذين نقضوا العهد وظاهروا الأحزاب على النبي ﷺ، وذلك من خلال غزوة بني قريظة، "فحكم فيهم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم، فقال رسول الله -ﷺ-: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله"(٢).

وقد أكدت الآيتان السابقتان عاقبة الغدر الذي اعتادت عليه اليهود، فإن بني قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلط عليها رسوله والمؤمنين فأبادوهم عن آخرهم.

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير**، (٤/ ٣١٥).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، (٣/ ٢٣٧-٢٣٨).

"ومنذ ذلك اليوم ذلت يهود، وضعفت حركة النفاق في المدينة وطأطأ المنافقون رؤوسهم، وجبنوا عن كثير مما كانوا يأتون، وتبع هذا وذلك أن المشركين لم يعودوا يفكرون في غزو المسلمين، بل أصبح المسلمون هم الذين يغزونهم، حتى كان فتح مكة والطائف، ويمكن أن يقال: إنه كان هناك تلازم بين حركات اليهود وحركات المنافقين وحركات المشركين، وإن طرد اليهود من المدينة قد أنهى هذا التلازم، وإنه كان فارقا واضحا بين عهدين في نشأة الدولة الإسلامية واستقرارها"(١).

معنى هذا أن أغلب المشكلات التي تواجهها الجماعة المسلمة كان وراءها اليهود، ومع التخلص منهم ومن شرهم تخلص المسلمون من كثير من العقبات التي كانت تواجههم، وأنه متى ما قضي على هذه الطائفة وهذا الجنس من الناس انحلت كثير من المشكلات، في أي زمان وفي أي عصر، ذلك بأنهم أمة لا يعيشون إلا على تفرقة المجتمعات وتمزيقها وبث الرعب في أوساطها، "وليس لنا سبيل إلى التخلص من شرهم إلا حزم كحزم الرسول -ﷺ- في معاملتهم لنطمئن على بلادنا ولنتفرغ لدورنا الجديد المقبل في حمل رسالة الإسلام والسلام إلى شعوب الأرض قاطبة"(٢)، والذي أخرج اليهود في عصر النبي -ﷺ- وهم يظنون أن حصونهم مانعتهم من الله، قادر على خذلان صهاينة هذا العصر وحلفائهم من المنافقين.

- السنن التي سنها الله في اليهود من غير سورة الأحزاب، وأقوال المفسرين فيها:

أوجب الله تعالى على اليهود سنن ثابتة إلى يوم القيامة جزاء عاقبة كفرهم وسوء أدبهم مع الله تعالى ومع الرسل ومع الكتب السماوية، وقد تعددت هذه السنن ولعل من أبرزها:

١- **الإفساد في الأرض:** قال تعالى مخبرا عن اليهود: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤]، أي: "من سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته"(٣)، والفعل يسعون يعبر عن الاستمرار فدل على أن هذا طبع مستمر فيهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٨٤٩).

(٢) السباعي، مصطفى بن حسني، **السيرة النبوية - دروس وعبر**، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (ص: ١٢٥).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ١٤٧).

وأخبر سبحانه أنه قد قدّر عليهم الإفساد في الأرض مرتين فقال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾[الإسراء:٤-٨].

يقول السعدي: معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ "أي: تقدمنا وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم الله والعلو في الأرض والتكبر فيها وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء وانتقم منهم وهذا تحذير لهم وإنذار لعلهم يرجعون فيتذكرون.

"واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار، إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي وتركوا كثيرا من شريعتهم وطغوا في الأرض"(١).

"والذي أثبته اليهود في تواريخهم أن الذي أغار عليهم أولا وخرب بيت المقدس هو بختنصر وكان ذلك في زمن إرميا عليه السلام، وقد أنذرهم مجيئه صريحا بعد أن نهاهم عن الفساد وعبادة الأصنام، فحبسوه في بئر وجرحوه، وأن الذي أغار عليهم ثانيا هو أسبيانوس قيصر الروم، وكان بين الإغارتين نحو من خمسمائة سنة"(٢).

- هل عاد اليهود للإفساد المرة الثالثة أو لا؟

يقول صاحب أضواء البيان: "أشار في آيات أخر إلى أنهم عادوا للإفساد بتكذيب الرسول ﷺ، وكتم صفاته ونقض عهوده، ومظاهرة عدوه عليه، إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة، فعاد الله جل وعلا للانتقام منهم تصديقا لقوله: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾[الإسراء:٨] فسلط عليهم نبيه -ﷺ- والمسلمين، فجرى على بني قريظة، والنضير، وبني قينقاع وخيبر ما جرى من القتل والسبي

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٤٥٣- ٤٥٤).

(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (١٥/ ١٥).

والإجلاء، وضرب الجزية على من بقي منهم، وضرب الذلة والمسكنة"[١].

ومن الآيات الدالة على أنهم عادوا للإفساد قوله تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة:١٠٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[المائدة:١٣]، ونحو ذلك من الآيات.

والناظر والمتمعن في آيات الله في الكون يدرك حقيقة الآيات القرآنية التي تتحدث عن فساد اليهود ويدرك أن سنة الله تعالى تسوقهم إلى وعد الآخرة، فسنة الله تعالى تدخر للصهاينة مفاجئات، والله -ﷻ- إذا أراد شيئا هيأ له الأسباب، فيهيئ الأسباب لمن يريد أن يجري هذا النصر على أيديهم، وسيدخله المسلمون فاتحين، وسيحررون الأرض المقدسة، ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرٗا﴾[الإسراء:٧]، وفي الآيات التي ذكرنا التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل من تسليط الأعداء عليهم، فسنة الله ثابتة لا تتبدل ولا تتغير.

٢- **الغدر ونقض المواثيق:** كل ممارسات اليهود تتلخص في الكيد والمكر والخديعة نشأوا عليها وتربوا عليها، وهذا طبع معروف فيهم قديما وحديثا، قال سبحانه منكرا على اليهود تعاملهم بهذه الصفة السيئة: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة:١٠٠].

"يدل على أن ذلك كالعادة فيهم فكأنه تعالى أراد تسلية الرسول عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات بأن ذلك ليس ببدع منهم، بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم على ما بينه في الآيات المتقدمة من نقضهم العهود والمواثيق حالا بعد حال لأن من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك"[٢].

فهم قوم جبلوا على المكر والخديعة ونقض العهود، يتخذون العهود والمواثيق أسلوبا وطريقا للحصول إلى أغراضهم، ويعقدون المعاهدات والمواثيق حتى يلتقطون أنفاسهم ويعدون أنفسهم، فإذا ما تحقق لهم ما أرادوا ينكثون العهد والميثاق من جديد، وكلما قطعوا على أنفسهم عهدا أو ميثاقا نقضوه، مع الله مع الرسل، لا يهمهم مع من، لأن هذا سجية وطبع فيهم، لا يهمهم إلا مصالحهم،

---

(١) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (٣/ ١٥- ١٦).
(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٣/ ٦١٥).

فمتى ما رأوا مصلتهم الصلح صالحوا، ومتى ما رأوا مصلحتهم الغدر غدروا، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر:٤٣].

ولو نظرنا إلى عقوبات النبي -ﷺ- للطوائف اليهودية الثلاث الذين كانوا في عصره التي أجلاها من المدينة لو وجدنا أن سببها الغدر والخيانة، ولقد كان -ﷺ- يريد أن يتعايش معهم بدليل العهد الذي كان بينه وبينهم، ولكنهم قوم لا يريدون العيش إلا مع أنفسهم.

٣- **أشد الناس عداوة للمؤمنين:** قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[المائدة:٨٢].

يقول الرازي: "ذكر في هذه الآية أن اليهود في غاية العداوة مع المسلمين، ولذلك جعلهم قرناء للمشركين في شدة العداوة، بل نبه على أنهم أشد في العداوة من المشركين من جهة أنه قدم ذكرهم على ذكر المشركين، ولعمري إنهم كذلك"(١).

"وذلك أنهم مرنوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم وعلى العتو والمعاصي، واستشعارهم اللعنة وضرب الذلة والمسكنة، فتحررت عداوتهم وكيدهم وحسدهم وخبثهم"(٢).

"ووصفهم سبحانه بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء عليهم السلام والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم، وقد قيل: إن من مذهب اليهود أنه يجب عليهم إيصال الشر إلى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان"(٣).

ويقول أبو حيان(٤): "وفي وصف الله إياهم بأنهم أشد عداوة إشعار بصعوبة إجابتهم إلى الحق،

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٢/ ٤١٣).

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، (٤/ ٣٤٣).

(٣) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (٤/ ٤).

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي عصره ولغويه ومقرئه، ولد في شوال سنة: (٦٥٤هـ)، اشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وألف الكتب المشهورة، أبرزها: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، كتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار، مات سنة: (٧٤٥هـ). ينظر: ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد، **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان

الحق، ولذلك قل إسلام اليهود"[١].

والآية تدل على أن عداوة اليهود لنا باقية وأن الصراع معهم قائم ومستمر إلى قيام الساعة، مهما عملوا من عهود ومواثيق وشعارات سلام، فمن نقض العهد مع الله ومع رسوله لا يمكن أن يوفي به مع غيرهما.

٤- **إثارة الفتن وإشعال الحروب:** اليهود قوم متخصصون في إثارة الفتن وإشعال الحروب بين المسلمين، ولكن الله لهم بالمرصاد، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[المائدة:٦٤]، قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "أي: كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحيق مكرهم السيئ بهم"[٢].

ولنتذكر أن قدوم الأحزاب إلى المدينة كان وراءه اليهود حيث ألبوا قريشا وغطفان وجاءوا بعشرة آلاف يريدون أن يقضوا على نبي الإسلام وعلى أصحابه في المدينة فأشعلوا نار هذه الحرب فكانوا هم وقودها، فمضت فيهم سنة الله، ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾.

٥- **التفرقة والعداء فيما بينهم:** يخبر القرآن عن حقيقة بيت اليهود من الداخل وأنه بيت يسوده التفرقة والعداء فقال سبحانه: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[المائدة:٦٤].

يقول الرازي: وفي قوله: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ قولان: الأول: المراد منه ما بين اليهود والنصارى من العداوة لأنه جرى ذكرهم في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾[المائدة:٥١]، وهو قول الحسن[٣] ومجاهد. الثاني: أن المراد وقوع العداوة بين فرق اليهود"[٤]، وعلى كلا القولين

عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى الجزء: ١ – ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤- ١٩٧٤، (٤/ ٧٨)، وينظر: السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، (١/ ٥٣٤).

(١) أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، (٤/ ٣٤٣).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ١٤٧).

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار، ، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، ثم نشأ بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وسمعه يخطب، وله يومئذ أربع عشرة سنة، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا، وكان جامعا، عالما، رفيعا، فقيها، ثقة، حجة، مأمونا، عابدا، ناسكا، كثير العلم، فصيحا، جميلا، وسيما، ولي القضاء زمن عمر بن عبد العزيز، ومات سنة: (١١٠هـ). ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (٤/ ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٧٢، ٥٨٢، ٥٨٧).

(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٢/ ٣٩٧).

فاليهود داخلون في معنى الآية.

وقال ابن كثير عند تفسيره للآية السابقة: "يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكذبوك"(١).

ويقول سيد قطب: "وما تزال طوائف اليهود متعادية، وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند وتوقد نار الحرب على البلاد الإسلامية وتفلح! ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة، ففي خلال ألف وثلاثمائة عام، بل من قبل الإسلام واليهود في شحناء وفي ذل كذلك وتشرد، ومصيرهم إلى مثل ما كانوا فيه مهما تقم حولهم الأسناد"(٢).

ومما يدل على هذه السنة قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:١٤]، "أي إنك أيها الرسول إذا رأيتهم مجتمعين خلتهم متفقين وهم مختلفون غاية الاختلاف، لما بينهم من إحن وعداوات، فهم لا يتعاضدون ولا يتساندون ولا يرمون عن قوس واحدة، وفى هذا تشجيع للمؤمنين على قتالهم، وحث للعزائم الصادقة على حربهم، فإن المقاتل متى عرف ضعف خصمه ازداد نشاطا وازدادت حميته وكان ذلك من أسباب نصرته عليه"(٣).

"على خلاف المؤمنين الذين تتضامن أجيالهم، وتجمعهم آصرة الإيمان من وراء فواصل الزمان والمكان، والجنس والوطن والعشيرة، وامتدح المؤمنين في قتالهم بوحدتهم كأنهم بنيان مرصوص"(٤)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤]، وقد جاءت السنة بهذا التشبيه للتعاون في قوله -ﷺ- من حديث أبي موسى: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٥).

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/ ١٤٧).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ٩٢٩- ٩٣٠).

(٣) المراغي، **تفسير المراغي**، (٢٨/ ٥٠).

(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٦/ ٣٥٢٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، البخاري، **صحيح البخاري**، (٨/ ١٢، رقم:٦٠٢٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، مسلم، **صحيح مسلم**، (٤/ ١٩٩٩، رقم: ٢٥٨٥).

٦- **تفرقهم في البلاد وتشتت أمرهم:** قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف:١٦٨].

قال ابن جرير: "يعني: جماعات شتى متفرقين"(١).

وقال السمعاني(٢): "أي: فرقناهم فرقا، ومعناه: شتتنا أمر اليهود فلا يجتمعون على كلمة واحدة"(٣).

ويقول المراغي في تفسيره: "أي وفرقنا بنى إسرائيل في الأرض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها فلا يخلو منهم قطر وليس لهم شوكة ولا دولة، وهذا من معجزات الكتاب الكريم"(٤).

ومما يدل على أنهم أمة متفرقة مفهوم قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[الإسراء:١٠٤]، فإن الآية تدل بمفهومها على أنهم متفرقون في البلاد إلى آخر الزمان حتى يأتي الوعد المحدد لهم فيجتمعون ثم يغلبون.

وقد لاحظنا منذ عام ١٩٤٢م واليهود يهاجرون إلى فلسطين جماعات جماعات وهو الشيء الذي تؤكده المرحلة الزمنية من جهة، كما تؤكده وتحدده الآية الكريمة، ولذلك فإن ذكر الوعدين في سورة الإسراء بارقة نصر للنبي -ﷺ- في سنن الله المطردة أن يأتي اليهود من كل أقطار الأرض مدفوعين إلى أرض يعتبرونها عقيدة لهم بعد أن كانوا متفرقين في البلاد.

٧- **أحرص الناس على حياة:** يحرص اليهود على الحياة كما يحرص المؤمنون على الشهادة والموت في سبيل الله، والسبب في ذلك أنهم لا يرجون لقاء الله، ولا يريدون أن تكون لهم حياة غير هذه الحياة، "ولما يعلمون من مآلهم السيئ وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١٣/ ٢٠٨).

(٢) هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، ولد: سنة (٤٢٦هـ)، وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة، وزهدا وورعا، وكان بحرا في الوعظ، فظهر له القبول، له مصنفات في التفسير والفقه والأصول والحديث، وتفسيره ثلاث مجلدات، وله (الاصطلام) الذي شاع في الأقطار، وكتاب (القواطع) في أصول الفقه، توفي سنة (٤٨٩هـ). ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (١٩/ ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩).

(٣) السمعاني، **تفسير القرآن**، (٢/ ٢٢٧).

(٤) المراغي، **تفسير المراغي**، (٩/ ٩٩).

المؤمن وجنة الكافر"[١].

قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٩٦].

وهذه الحياة التي يرغبونها "أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق! حياة فقط! حياة بهذا التنكير والتحقير! حياة ديدان أو حشرات! حياة والسلام! إنها يهود، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء، وما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس، وعنت الجباه جبنا وحرصا على الحياة"[٢].

وهنا تتجلى حقيقة القرآن فيما أخبر به عن اليهود من حرصهم على الحياة ولو كانت رخيصة ذميمة، إذ هذا أمر مشاهد منهم إلى اليوم.

٨- **يحرفون الكلم عن مواضعه:** قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:٤٦].

﴿مِّنَ﴾ هذه لبيان الجنس وليس للتبعيض كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره[٣]، فتحريف الكلام سجية فيهم كلهم وليس في البعض دون البعض، ومعنى ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: "أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها، أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه"[٤].

قال الرازي: "في كيفية التحريف وجوه: أحدها: أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر نحو تحريفهم «الرجم» بوضعهم «الحد» بدله.

الثاني: أن المراد بالتحريف: إلقاء الشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١/ ٣٣٤).
(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٩٢).
(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ٣٢٣).
(٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (٢/ ٧٧).

الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية، كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم، وهذا هو الأصح.

الثالث: أنهم كانوا يدخلون على النبي -ﷺ- ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به، فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه"(١).

"وأما الآية المذكورة في سورة المائدة، فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضا من الكتاب، فقوله: يحرفون الكلم إشارة إلى التأويل الباطل وقوله: من بعد مواضعه إشارة إلى إخراجه عن الكتاب"(٢).

٩- **الذلة والصغار إلى يوم القيامة:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأعراف:١٦٧].

يقول المراغي: "ذكر هنا أنه كتب على اليهود جميعا الذلة والصغار إلى يوم القيامة عقابا على أفعالهم، وهذه سنة الله في عقاب الأمم التي تفسق عن أمره وتخالف أوامر دينه، وهى كما تنطبق على اليهود تنطبق على غيرهم من الأمم التي لا ترجع عن غيها، بل تتمادى في فجورها وطغيانها وتسير قدما في غوايتها وضلالها"(٣).

ويقول صاحب المنار: "قضى في علمه وكتب على نفسه، وفاقا لما أقام عليه نظام الاجتماع البشري من سننه، ليبعثن ويسلطن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، أي يريده ويوقعه بهم، عقابا على ظلمهم وفسقهم وفسادهم"(٤).

ومن هذه السنة قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٦١]، قال ابن كثير: "أي: وضعت عليهم وألزموا بها شرعا وقدرا، أي: لا يزالون مستذلين، من وجدهم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكنون.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٠/ ٩٣).
(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٠/ ٩٣).
(٣) المراغي، **تفسير المراغي**، (٩/ ٩٧).
(٤) رضا، **تفسير المنار**، (٩/ ٣٢١).

وقال الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين. ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية[١].

وقال قتادة: لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس[٢].

وينبه صاحب الظلال على أمر مهم فيقول: "ولقد يبدو أحيانا أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزت واستطالت! وإن هي إلا هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ، ولا يدري إلا الله من ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة التالية، وما بعدها إلى يوم القيامة[٣].

وقد بين سبحانه سبب وقوع عليهم الذلة والمسكنة فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[البقرة:٦١]، فالكفر بالله تعالى والتعدي على أوليائه سبب من أسباب وقوع الذلة والمهانة عليهم، ومن وقع فيهما أو في أحدهما فقد استحق الذل والخزي في الدنيا قبل الآخرة.

١٠- **أنهم أمة ملعونة:** قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة:٨٨]، "أي أن قلوبهم ليست غلفا لا تفهم الحق بطبعها، وإنما أبعدهم الله – تعالى – من رحمته بسبب كفرهم بالأنبياء السابقين، وبالكتاب الذي تركوا العمل به وحرفوه اتباعا لأهوائهم...، هذا هو معنى اللعن، وقد ذكرت معه علته؛ ليعلم أنه جرى على سنة الله – تعالى – في الأسباب والمسببات، وأن الله لم يظلمهم بهذا، وإنما ظلموا أنفسهم بالكفر الذي يستتبع الكفر، والعصيان الذي يجر إلى التمادي في العصيان، كما هي السنة في أخلاق الإنسان"[٤].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[النساء:٥٢]، جاء في تفسير المنار عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ "أي: ومن يلعنه الله

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١/ ٢٨٢).
(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٢/ ٣٩٧).
(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٣/ ١٣٨٦).
(٤) رضا، **تفسير المنار**، (١/ ٣١٣).

فلن ينصره أحد من دونه؛ إذ لا سبيل لأحد إلى تغيير سننه تعالى في خلقه"[١].

"ولقد يهولنا اليوم أن نجد دول الغرب كلها نصيرا لليهود، فنسأل: وأين وعد الله بأنه لعنهم، وأن من يلعن الله فلن تجد له نصيرا؟ ولكن الناصر الحقيقي ليس هو الناس، ليس هو الدول، ولو كانت تملك القنابل الأيدروجينية والصواريخ، إنما الناصر الحق هو الله. القاهر فوق عباده"[٢].

هذا شيء من حديث القرآن عن اليهود، عن تاريخهم وصفاتهم وعاقبتهم، هذا شيء من حديثه عن شرورهم، وإن كثرة هذا الحديث عنهم لهو تحذير لنا من حيلهم ومكائدهم هذه من جهة، ومن جهة أخرى لكي نحذر أن نعمل مثل الذي عملوه فتنزل بنا عقوبة الله مثل التي نزلت عليهم فسنة الله واحدة لا تحابي ولا تجامل أحدا.

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، (٥/ ١٢٨).

(٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٢/ ٦٨٢).

المطلب الثاني: سنة الله تعالى في المنافقين:

تحدثنا في المطلب السابق عن سنة الله في اليهود، وفي ختام بحثنا سنتحدث عن سنة الله في المنافقين، ونلحظ أن هناك تشابه في السنن بين الفريقين، كاللعن والجبن والبخل والخيانة والإفساد وغيرها، وقد جاء ذكر المنافقين في كتاب الله -ﷻ- في مواضع عديدة، تبين صفاتهم، وتحذر المؤمنين منهم، ومن أخلاقهم، وقد ابتدأ الله كتابه بالحديث عن ثلاث طوائف، طائفة تحدث عنها في أربع آيات وهم المؤمنون، وطائفة تحدث عنها في آيتين وهم الكافرون، ولما جاء ذكر الطائفة الثالثة وهم المنافقون تحدث عنها في ثلاثة عشر آية، لأنهم أعظم الناس خطرا، وأشد فتنة على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه، فهم يعيشون بين المؤمنين، ويتكلمون بألسنتهم، ولذلك أفرد الله -ﷻ- سورة خاصة بهم تبين خطرهم، وتحذر المؤمنين منهم ومن أعمالهم، بل إنه سبحانه لما ذكر توبة الكافرين ذكر أمرا واحدا وهو بمجرد الانتهاء عن الكفر والدخول في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف، ولكن لما ذكر توبة المنافقين شدد في ذلك واشترط أربع شروط وهي التوبة والإصلاح والاعتصام بالله والإخلاص له سبحانه، تأكيدا على خطر النفاق، ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن جعل للمنافقين سننا وصفات تعين على كشف مكرهم، ومكائدهم، ومعرفة حالهم، وإن صلوا وصاموا وادعوا أنهم مؤمنون، قال ابن كثير: "ولهذا نبه الله، سبحانه، على صفات المنافقين لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار، أن يظن بأهل الفجور خير"(١).

وبعد هذه المقدمة التي تبين خطر النفاق والمنافقين على المسلمين، نأتي إلى بيان سنة الله تعالى فيهم مبتدئين بذكر الآيات التي وردت في سورة الأحزاب، ومن ثم ذكر الآيات التي تدل على هذه السنة من غير سورة الأحزاب، كما هي طريقتنا من بداية البحث.

- سنة الله في المنافقين من خلال سورة الأحزاب، وأقوال المفسرين فيها:

من الآيات المتضمنة لهذه السنة في سورة الأحزاب قوله تعالى:﴿۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١/ ١٧٧).

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[الأحزاب:٦٠-٦٢].

في هذه الآيات يؤكد الرب -ﷻ- على سنة من سننه التي لا تتبدل ولا تتغير، وتختص هذه السنة بالمنافقين، وقد وصفت الآيات المنافقين بثلاثة أوصاف بأنهم منافقون ومرضى ومرجفون، قال أهل التفسير: "الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، والمعنى: إن المنافقين قد جمعوا بين النفاق ومرض القلوب والإرجاف على المسلمين"(١).

قال المراغي عند تفسيره للآيات السابقة "أي لئن لم يكف أهل النفاق الذين يستترون الكفر ويظهرون الإيمان، وأهل الريب الذين غلبتهم شهواتهم، وركنوا إلى الخلاعة والفجور وأهل الإرجاف في المدينة الذين ينشرون الأخبار الملفقة الكاذبة...؛ لنسلطنك عليهم، وندعونك إلى قتالهم وإجلائهم عن البلاد، فلا يسكنون معك فيها إلا قليلا وتخلو المدينة منهم بالموت أو الإخراج"(٢).

وقال ابن كثير: "هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير"(٣).

وقال السعدي في تفسيره: "ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توحي به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء"(٤).

"والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ هنا هم اليهود- من بنى قريظة وبنى النضير- الذين وقع بهم بأس الله، فأخرجوا من ديارهم، وقتل رجالهم، وسبى نساؤهم وذراريهم، ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ هم أمثال هؤلاء المنافقين من أهل الضلال في الأمم السابقة، ويدخل فيهم ضمنا يهود

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٤/ ٢٤٥).
(٢) المراغي، **تفسير المراغي**، (٢٢/ ٣٨).
(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٦/ ٤٨٣).
(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٦٧٢).

المدينة"[١].

ولعل الحكمة عن كفه -ﷺ- عن قتل المنافقين، بما ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال عن عبدالله بن أبي: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال له النبي -ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»[٢].

قال القاسمي[٣]: "ومعناه خشية أن يقع بسبب ذلك تنفير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام، ولا يعلمون حكمة قتلهم- بأنه لأجل كفرهم- فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم، فيقولون: إن محمدا يقتل أصحابه"[٤].

ومما يستفاد من الآيات السابقة أن على أهل الصلاح تحذير أهل الغواية وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، وعدم الاستعجال على الحكم عليهم وعلى الأعمال التي يقومون بها فهم قطعة من هذه الأمة، وإصلاحهم صلاح لها، قال ابن عاشور: "وهذه الآية ترشد إلى تقديم إصلاح الفاسد من الأمة على قطعة منها؛ لأن إصلاح الفاسد يكسب الأمة فردا صالحا أو طائفة صالحة تنتفع الأمة منها"[٥]، وقال القرطبي: "وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه حتى مات"[٦]، وكما هو الحال من تعامل النبي -ﷺ- مع أهل الطائف عندما قال لملك الجبال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا»[٧].

---

(١) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (١١/ ٧٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨]، البخاري، **صحيح البخاري**، (٦/ ١٥٥، رقم: ٤٩٠٧).

(٣) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، إمام الشام في علم الدين وفنون الأدب، كانت ولادته في دمشق سنة: (١٢٨٣هـ)، اشتغل بإلقاء الدروس العامة في المدن والقرى السورية في التفسير والتوحيد والحديث والأخلاق والتاريخ والأدب وغير ذلك من علوم الشريعة الإسلامية، ثم رحل إلى مصر، وزار المدينة المنورة، خلف آثارا قيمة، منها "محاسن التأويل" في تفسير القرآن الكريم، في ١٧ مجلدا، توفي في دمشق سنة: (١٣٣٢ هـ). ينظر: نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، (١/ ١٢٧).

(٤) القاسمي، **محاسن التأويل**، (١/ ٢٥٠).

(٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٢/ ١١٠).

(٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٤/ ٢٤٨).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت

لكن إذا كان الضرر يحصل بتواجدهم في أوساط المسلمين، وكانت المصلحة في خروجهم فعند ذلك يجب أن يخرجوا حتى يتخلص المسلمون من شرهم، قال السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾: "وهذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه"(١).

- السنن التي سنها الله في المنافقين من غير سورة الأحزاب، وأقوال المفسرين فيها:

في ضوء سور القرآن وردت العديد من الآيات التي تؤكد عادة الله تعالى وطريقته في المنافقين، ولا يسعنا في هذا المقام أن نذكر كل ما ورد ولكن سنختار بعضا منها، ومن ذلك:

١- إظهار الإسلام وإبطان الكفر:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٨].

قال ابن جرير: "أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم"(٢).

وقال البيضاوي: "والآية تدل على أن من ادعى الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا، لأن من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا"(٣).

ومن الآيات التي تدل على هذه السنة قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

٢- زادهم الله مرضا إلى مرضهم:

قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[البقرة:١٠].

فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، البخاري، **صحيح البخاري**، (٤/ ١١٥، رقم: ٣٢٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، مسلم، **صحيح مسلم**، (٣/ ١٤٢٠، رقم: ١٧٩٥).

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٦٧٢).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (١/ ٢٦٨).

(٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (١/ ٤٤).

يقول البغوي مبينا حقيقة المرض الذي أصيبوا به: أي: "شك ونفاق وأصل المرض الضعف، وسمي الشك في الدين مرضا لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن"(١).

وقال السعدي: "والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش و المعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، والمعافى من عوفي من هذين المرضين"(٢).

وقال سيد قطب: "المرض ينشئ المرض، والانحراف يبدأ يسيرا، ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد، سنة لا تتخلف، سنة الله في الأشياء والأوضاع، وفي المشاعر والسلوك، فهم صائرون إذن إلى مصير معلوم"(٣).

ولعل أبرز مرض أصيبوا به هو مرض القلب، حتى أصبح قلب المنافق قلبا أسودا يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا، "ومرض القلب نوع من الفساد يصيب القلب فيختل إدراك صاحبه وإرادته، حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه، وتختل إرادته بحيث يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضارّ"(٤).

٣- مفسدون في الأرض:

المنافقون قلوبهم وأعمالهم فاسدة، وهذا الفساد لا يقتصر على أنفسهم بل يتعداه إلى غيرهم، فيسعون بكل ما أوتوا من قوة أن ينشروا فسادهم في الأرض، ومع ذلك يدعون بأنهم مصلحون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾[البقرة: ١١-١٢]، والآية تبين أن الله قد حكم عليهم بأنهم مفسدون.

قال ابن جرير: "نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وإن كان معنيا بها

---

(١) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (١/ ٦٦).

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٤٢).

(٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٣).

(٤) زيدان، عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (ص: ٣٩٨).

كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة"[١].

ويوضح ابن جرير حقيقة فساد المنافقين حيث يقول: "أهل النفاق: مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه، وتضييعهم فرائضه، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملا إلا بالتصديق به والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا، فذلك إفساد المنافقين في أرض الله، وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها"[٢].

وقال الزمخشري: "وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم علتهم، وذلك مما يؤدى إلى هيج الفتن بينهم"[٣].

وقال السعدي: "جمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه"[٤].

ويقول صاحب الظلال: "والذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدا في كل زمان، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم، والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية"[٥].

ومن الآيات التي تدل على فسادهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[البقرة:٢٠٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[التوبة:٦٧].

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١/ ٢٨٩).
(٢) الطبري، **جامع البيان**، (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).
(٣) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (١/ ٦٢).
(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٤٣).
(٥) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (١/ ٤٤).

قال السعدي: "حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد"(١).

٤- موالون للكفار:

المنافقون موالون للكفار لأنهم في الحقيقة مثلهم، وقد اتخذوا الإسلام سترة لهم لينقلوا لهم أسرار المسلمين، ولكن الله لهم بالمرصاد، قال سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾[النساء: ١٣٨-١٣٩].

"اتفق المفسرون على أن المراد بالذين يتخذون: المنافقون، وبالكافرين اليهود، وكان المنافقون يوالونهم ويقول بعضهم لبعض: إن أمر محمد لا يتم، فيقول اليهود بأن العزة والمنعة لهم"(٢)، و"لأنه لم يبق بالمدينة مشركون صرحاء في وقت نزول هذه السورة، فليس إلا منافقون ويهود"(٣)، والمعنى: "يتخذون اليهود أولياء وأنصارا أو بطانة"(٤).

قال ابن كثر: "وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم، إنما نحن مستهزئون. أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة"(٥).

ويقول السعدي: "وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم"(٦).

والذي يجعلهم يوالون الكفار هو بحثهم عن العزة والمنعة، فيظنون أنهم بموالاتهم للكفار سيجدون عندهم ذلك، وقد بين الله لهم أن الذي يطلبونه هو عنده وحده سبحانه فقال: ﴿ أَيَبْتَغُونَ

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٣٤٣).
(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١١/ ٢٤٦).
(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٥/ ٢٣٤).
(٤) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (٢/ ٣٠٠).
(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ٤٣٥).
(٦) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٢١٠).

عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾[النساء: ١٣٩].

٥- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

لما كان حال المؤمنون القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان المنافقون على عكس حال المؤمنين في القيام بخلاف هذه الشعيرة العظيمة، فهم يشجعون كل ما هو شر، ويمنعون كل ما هو خير، معروفهم منكر، ومنكرهم هو المعروف، قال تعالى:﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[التوبة:٦٧].

قال صاحب تفسير مفاتيح الغيب: "لفظ المنكر يدخل فيه كل قبيح، إلا أن الأعظم هاهنا تكذيب الرسول، ولفظ المعروف يدخل فيه كل حسن إلا أن الأعظم هاهنا الإيمان بالرسول ﷺ"(١).

وقال الزمخشري: "يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي، وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعات"(٢)

"هذه هي بضاعة القوم، وتلك هي رسالتهم في الحياة، وشأنهم في الناس، ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾! فلا يكفيهم أنهم يطعمون من هذا الطعام الخبيث، ولا يرضيهم أن يعرضوه على الناس بل يأمرونهم به، ويحرضونهم عليه، ويزينون لهم تعاطيه...، ولا يقفون عند هذا، بل إنهم حين يدعون إلى المنكر، يقومون بدعوة أخرى، هي تبغيض الحلال إلى الناس، وتزهيدهم في الخير، وذلك إذا تأبوا عليهم، ولم يستجيبوا لدعوتهم إلى المنكر"(٣).

٦- قلوبهم مصروفة عن الهدى:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[التوبة:١٢٧].

قال ابن جرير: "صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين"(٤).

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٦/ ٩٧).
(٢) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (٢/ ٢٨٧).
(٣) الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، (٥/ ٨٣٧).

المنافقين"[١].

وقال صاحب فتح القدير: "صرفها عن الخير وما فيه الرشد لهم والهداية، وهو سبحانه مصرف القلوب ومقلبها وقيل: المعنى: أنه خذلهم عن قبول الهداية"[٢].

وقال السعدي: ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي: صدها عن الحق وخذلها"[٣].

وقد بين المراغي في تفسيره سبب الصرف فقال: "ذلك الصرف بسبب أنهم قوم فقدوا فهم الحقائق وما يترتب عليها من الأعمال، فلا يفقهون ما يسمعون من الآيات لعدم تدبرها والتأمل في معانيها مع موافقتها للعقل وهدايتها إلى الحق والعدل، لأنهم وطنوا أنفسهم على الإعراض عن كل ما جاء به من غير بحث ولا تأمل، أحق هو أم باطل، أخير هو أم شر؟ وأنى لمثل هؤلاء- وتلك حالهم- أن يهتدوا بنزول الآيات والسور؟"[٤].

٧- منسيون من رحمة الله تعالى:

من سنة الله تعالى في المنافقين أنه ينساهم من رحمته فلا يوفقهم إليها، لأنهم نسوه فلم يذكروه فعاقبهم بذلك، والجزاء من جنس العمل، قال سبحانه عن المنافقين: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[التوبة:٦٧]،" أي نسوا الله تعالى فلا تذكره قلوبهم، ولا تطمئن به، إن القلوب إذا نسيت الله لَا تطيع أمره، ولا تجتنب نواهيه، ونسيان الله تعالى ألا يوفقهم لخير، وأن يجعلهم منغمسين في الشر الذي اختاروه والضلال الذي أحيط بهم"[٥].

قال ابن جرير: "وأما قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾، فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته"[٦].

وقال السعدي: " ﴿فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١٤/ ٥٨٢).
(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، (٢/ ٤٧٦).
(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٣٥٦).
(٤) المراغي، **تفسير المراغي**، (١١/ ٥٣).
(٥) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (٧/ ٣٣٦٣).
(٦) الطبري، **جامع البيان**، (١٤/ ٣٣٩).

الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين"[١].

٨- أنهم في الدرك الأسفل من النار:

لما كان المنافقون أشد خطرا على المؤمنين كان عقابهم أشد من غيرهم، وهو الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء:١٤٥]، أي: "في الطبق الأسفل من أطباق جهنم، وكل طبق من أطباق جهنم: "درك""[٢].

قال الزمخشري: "سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض"[٣]

- لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر؟

قال الرازي: "لأنه مثله في الكفر، وضم إليه نوع آخر من الكفر، وهو الاستهزاء بالإسلام وبأهله، وبسبب أنهم لما كانوا يظهرون الإسلام يمكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت تتضاعف المحنة من هؤلاء المنافقين، فلهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار"[٤].

هذه هي حقيقة المنافقين وتلك هي سنة الله فيهم، انحازوا عن طريق الهداية، واتخذوا طريق الغواية والضلال مسلكا، فأخرجوا أنفسهم من النور إلى الظلمات، ومن دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، فكان واجبا على المؤمنين أن يحذروهم ويحذروا صفاتهم، وأن يتعرفوا على سنن الله فيهم من خلال آيات القرآن الكريم.

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص: ٣٤٣).
(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٩/ ٣٣٧، ٣٣٨).
(٣) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (١/ ٥٨١).
(٤) الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١١/ ٢٥١).

الخاتمة

أشكر الله تعالى أولا وآخرا على ما أعانني ووفقني في كتابة وإنجاز هذه الرسالة التي ركزت على سورة الأحزاب، واستخراج السنن الإلهية منها، راجيا الله أن ينال هذا البحث القبول ويلقى الاستحسان، "وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل"[(١)]، فما هذا إلا جهد المقل، ولا أدعي فيها الكمال، فالكمال لله وحده، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله تعالى، وما كان من خطأ فمني، مع سروري بشرف المحاولة والتعلم.

– وقد جاد البحث بجملة من النتائج والتوصيات لعل من أهمها ما يلي:

١– أن أهل اللغة توافقوا على أن السنة تعني الطريقة أو السيرة، فإذا ما نسبت إلى الله أو رسوله تعين أن تكون حسنة، وإذا ما نسبت إلى غيرهما جاز أن تكون حسنة أو قبيحة.

٢– أن أهل التفسير قد توافقوا مع أهل اللغة على أن السنة تعني الطريقة أو السيرة.

٣– أن السنن الإلهية (الاجتماعية) هي: الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة.

٤– أن السنن الإلهية تنقسم إلى قسمين: سنن كونية مادية: وهي التي تتعلق بحياة الكون وسيره وما فيه من مخلوقات، وسنن اجتماعية: وهي التي تتعلق بحياة البشر وسلوكهم وأفعالهم.

٥– أن السنن الكونية قد يخرقها الله لبعض عباده، مثل ما خرق الله النار لإبراهيم عليه السلام، مع أن سنة الله فيها الإحراق، أما بالنسبة للسنن الإلهية الاجتماعية فلم يخرقها الله لأحد من عباده، بل يجب العمل بالأسباب للحصول على النتائج.

٦– ثبت اعتناء المفسرين بالسنن الإلهية، سواء المتقدمين أو المتأخرين، إلا أنك عندما ترجع إلى التفاسير تجد أن اهتمام المتأخرين بها أكبر، إذ يرون أن ذلك علم ينبغي أن يستقل بذاته.

---

(١) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، **أبجد العلوم**، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢ م، (ص: ٥٢).

٧- أن التأمل في السنن الإلهية تجعل الانسان يجيب عن مجموعة من الأسئلة التي تطرأ في ذهنه، مثلا: لماذا ينهزم المسلمون، وينتصر الكافرون؟ لماذا تبتلى الدول المسلمة بالمصائب، بينما تنعم الدول الكافرة بالخيرات؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تمس عقيدة المسلم، وتجعله مضطرب العقيدة، وبالتأمل في سنن الله تعالى والإيمان بها يزول ذلك الاضطراب.

٨- أن العناية بالسنن الإلهية يفسر الواقع أصدق تفسير، ويعين على الإعداد للمستقبل ببصيرة، ومعاملة الأعداء بحكمة وشجاعة، ومع ذلك فهي واجبة من أجل إحداث التغيير، والارتقاء بالأمة، وإعادة مجدها الضائع.

٩- أن كل نبي عمل في ما كان يرغب فيه ويتقنه من المهن، وفيه درس لكل مسلم بأن يتخذ لنفسه حرفة أو مهنة يغني بها نفسه ويعول بها أهله وهو بذلك مأجور بإذن الله.

١٠- من خلال سنن الله تعالى في اليهود والمنافقين نلحظ أن هناك تشابه في السنن بين الفريقين، كاللعن والجبن والبخل والخيانة والإفساد وغيرها، وهذا يدل على أنهما وجهان لعملة واحدة.

١١- أن حديث القرآن الكريم عن اليهود، لا يخرج عن ثلاثة أمور: عن تاريخهم وصفاتهم وعاقبتهم.

١٢- أن أغلب المشكلات التي تواجهها الجماعة المسلمة وراءها اليهود، كما بينت ذلك الآيات الكريمة التي تتحدث عن سنة الله في اليهود، وأنه متى ما قضي على هذه الطائفة وهذا الجنس من الناس انحلت كثير من المشكلات، في أي زمان وفي أي عصر، ذلك بأنهم أمة لا يعيشون إلا على تفرقة المجتمعات وتمزيقها وبث الرعب في أوساطها.

هذه أهم النتائج التي أعانني الله على ذكرها والوصول إليها، أما بالنسبة للتوصيات فبعد الدعوة إلى تقوى الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله -ﷺ- **أوصي بالآتي:**

١- وضع مشروع بحث لاستكمال استقراء سنن الله تعالى في القرآن الكريم، حتى نخرج بموضوع متكامل يدرس هذه السنن الإلهية العظمى وما فيها من العبر والمواعظ، فإرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه كما وضح ذلك صاحب تفسير المنار.

٢- التوسع في دراسة السنن الإلهية وربطها بالواقع، وتوظيفها في مشروع نهضة الأمة الإسلامية،

لما لها من أثر في قيام الحضارات أو سقوطها.

٣- اعتماد السنن الإلهية كمادة تدرس في الجامعات الإسلامية، لما لها من أثر في حياة المجتمع، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في العلوم الأخرى، كالتوحيد والفقه وغيرهما.

هذه بعض التوصيات التي قد تفيد الباحثين خصوصا، والمجتمع عموما، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس الكلمات الغريبة.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
١	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾	٨	١٤٤
٢	﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾	١٠	١٤٤
٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	١١	١٤٥
٤	﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾	١٢	١٤٥
٥	﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾	٤٨	٧٩
٦	﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾	٦١	١٣٨
٧	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	٦١	١٣٩
٨	﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾	٨٨	١٣٩
٩	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾	٩٦	١٣٧
١٠	﴿أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ﴾	١٠٠	١٣٢
١١	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾	١٥٥	٥١
١٢	﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ﴾	١٥٦	٦٠
١٣	﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾	١٩٣	٦٢
١٤	﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	٢٠١	٧١
١٥	﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾	٢٠٥	٩٨
١٦	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾	٢١٤	٥١
١٧	﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾	٢١٧	٦٢
١٨	﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾	٢٤٩	٩٠
١٩	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	٢٥١	٣٤

سورة آل عمران			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾	٥٩	٤٤
٢١	﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾	١٢٥	٩٠
٢٢	﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١٢٦	٨٥

٢٣	﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٣٧	٢٨
٢٤	﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	١٣٨	٣٢
٢٥	﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	١٣٩	٨٦
٢٦	﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾	١٤٠	٣٧
٢٧	﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	١٤١	٥٠
٢٨	﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾	١٤٢	٧٤
٢٩	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾	١٤٤	١٠٨
٣٠	﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾	١٤٨	٤٩
٣١	﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾	١٥٢	٧٥
٣٢	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾	١٥٥	٧٦
٣٣	﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾	١٦٠	٨٦
٣٤	﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾	١٦٥	٧٦
٣٥	﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	١٦٦	٦٧
٣٦	﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٦٧	٦٧
٣٧	﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾	١٧٥	٧٦
٣٨	﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾	١٧٩	٦٧
٣٩	﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾	١٨١	٦٢
٤٠	﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾	١٨٦	٦١
٤١	﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٩٠	٤٢
٤٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾	٢٠٠	٩٠

سورة النساء

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٣	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾	٢٦	٢٥
٤٤	﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	٤٦	١٣٧
٤٥	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾	٥٢	١٣٩
٤٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾	٥٩	٩٠
٤٧	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾	٦٤	١٢٢
٤٨	﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾	٨٣	٩٢

٤٩	﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾	١٢٣	٣٢
٥٠	﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣٨	١٤٧
٥١	﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾	١٣٩	١٤٧
٥٢	﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	١٤٥	١٥٠
٥٣	﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	١٦٥	١٢٠
٥٤	﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾	١٧٦	٩٧

سورة المائدة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٥٥	﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ﴾	١٣	١٣٢
٥٦	﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾	١٨	٣٣
٥٧	﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾	٤٨	٦٩
٥٨	﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾	٤٩	٦٢
٥٩	﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾	٥١	١٣٤
٦٠	﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾	٦٤	١٣٠
٦١	﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾	٧٥	١٠٩
٦٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾	٨٢	١٣٣

سورة الأنعام

م	الآية	رقمها	الصفحة
٦٣	﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾	٦	٤٣
٦٤	﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾	٨	١٠٧
٦٥	﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾	٩	١٠٧
٦٦	﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾	١١	٣٧
٦٧	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾	٤٢	٧٣
٦٨	﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾	٤٣	٩٦
٦٩	﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾	٤٤	٩٦
٧٠	﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾	٤٥	٩٦
٧١	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةٗ﴾	٤٧	٩٧
٧٢	﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾	٥٢	١٢٥

٧٣	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾	٩٠	١١٨
٧٤	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٦٥	٦٣
سورة الأعراف			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٧٥	﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾	٤	٩٧
٧٦	﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	٥٩	١١٩
٧٧	﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	٦٥	١١٩
٧٨	﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾	٧٣	١١٩
٧٩	﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾	٧٤	١٢٠
٨٠	﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾	٧٥	١٢٥
٨١	﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾	٨٠	١٢٠
٨٢	﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ﴾	٨١	١٢٠
٨٣	﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾	٨٥	١٢٠
٨٤	﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ﴾	٩٦	٣٩
٨٥	﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	١٦٧	١٣٨
٨٦	﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا﴾	١٦٨	٥٣
سورة الأنفال			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٨٧	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	١	٨٩
٨٨	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾	٢	٨٦
٨٩	﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	٣	٨٦
٩٠	﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾	٤	٨٦
٩١	﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾	٧	٨٢
٩٢	﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾	٨	٨٢
٩٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا﴾	١٥	٨٨
٩٤	﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾	٢٥	٦٨
٩٥	﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾	٢٨	٦٦
٩٦	﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾	٣٨	٤٠

٩٧	﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾	٤٢	٩٨
٩٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾	٤٥	٨٧
٩٩	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾	٤٦	٩١
١٠٠	﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾	٤٦	٨٩
١٠١	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾	٦٠	٩٠

سورة التوبة

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٢	﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾	١٣	٨٦
١٠٣	﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾	٢٤	٩٤
١٠٤	﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾	٢٥	٩٣
١٠٥	﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾	٦٧	١٤٦
١٠٦	﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾	٩٧	١١١
١٠٧	﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾	١٢٧	١٤٨

سورة يونس

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٨	﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾	١٣	١٠٢
١٠٩	﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾	٩٨	٣٩
١١٠	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٠١	٤٢

سورة هود

م	الآية	رقمها	الصفحة
١١١	﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾	٧	٦٩
١١٢	﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾	٢٧	١٠٧
١١٣	﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾	١١٣	١٠٣
١١٤	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾	١١٧	١٠٢

سورة يوسف

م	الآية	رقمها	الصفحة
١١٥	﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	٢١	٧٢
١١٦	﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾	٨٧	٩٠

١١٧	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾	١٠٩	١٠٨
١١٨	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾	١١٠	٨٠
١١٩	﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾	١١١	٢٩
	سورة الرعد		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٢٠	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾	١١	٣٤
١٢١	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾	٣٨	١١٢
	سورة إبراهيم		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٢٢	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾	٤	١١٠
١٢٣	﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾	٧	٢٣
١٢٤	﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ﴾	١١	١٠٧
١٢٥	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ﴾	١٣	١٢٦
	سورة الحجر		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٢٦	﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	٩٠
	سورة النحل		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٢٧	﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٣٦	١١٨
١٢٨	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾	٤٣	١١٠
١٢٩	﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾	٨٩	٣٦
١٣٠	﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾	١١٢	٣٤
	سورة الإسراء		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٣١	﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٤	١٣١
١٣٢	﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ﴾	٥	١٣١
١٣٣	﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾	٦	١٣١

١٣٤	﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَآۚ﴾	٧	١٣١
١٣٥	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ﴾	٨	١٣١
١٣٦	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾	١٥	١٢١
١٣٧	﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾	١٦	١٠٢
١٣٨	﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾	١٧	١٠١
١٣٩	﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ﴾	٧٦	١٢٧
١٤٠	﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾	٧٧	٤٥
١٤١	﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾	١٠٤	١٣٦

سورة الكهف

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٢	﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾	٧	٥١
١٤٣	﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾	٢٨	١٢٥
١٤٤	﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ﴾	٥٦	١٢١
١٤٥	﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا﴾	٥٩	٣٤
١٤٦	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾	١١٠	١٠٨

سورة طه

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٧	﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	١٧	١١٤
١٤٨	﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾	١٨	١١٤

سورة الأنبياء

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٩	﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾	٢٢	٢٧
١٥٠	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾	٢٥	١١٨
١٥١	﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾	٣٥	٥١
١٥٢	﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾	٨٠	١١٦

سورة الحج

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٥٣	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾	١١	٦٧

١٥٤	﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾	٤٠	٨٠
١٥٥	﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٤١	٤٩
سورة المؤمنون			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٥٦	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾	٧٦	٧٣
١٥٧	﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾	١١٧	٢٧
سورة النور			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٥٨	﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾	٥٤	٨٨
١٥٩	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	٥٥	٣٤
سورة الفرقان			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٦٠	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	٢	٤١
١٦١	﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾	٧	١١٧
١٦٢	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾	٢٠	١٠٨
سورة الشعراء			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٦٣	﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾	٧٨	١٠٨
١٦٤	﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾	٧٩	١٠٨
١٦٥	﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	٨٠	١٠٨
١٦٦	﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾	٨١	١٠٨
١٦٧	﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾	١١١	١٢٥
١٦٨	﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾	١٣٨	٣٣
١٦٩	﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾	١٣٩	٣٣
سورة النمل			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٧٠	﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾	١٩	د

١٧١	﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾	٤٠	٦٥
١٧٢	﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾	٤٩	٩٧
١٧٣	﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾	٦٩	٣٧
سورة العنكبوت			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٧٤	﴿الٓمٓ﴾	١	٥٠
١٧٥	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	٢	٣٤
١٧٦	﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾	٣	٣٤
١٧٧	﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾	٤٠	١٠١
سورة الروم			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٧٨	﴿أَوَ لَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ﴾	٨	٤٢
١٧٩	﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾	٤١	٦١
١٨٠	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٤٧	٨٢
سورة السجدة			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٨١	﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾	١٣	٢٢
١٨٢	﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾	١٨	٢٢
١٨٣	﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾	٢٤	٤٩
١٨٤	﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾	٣٠	٢١
سورة الأحزاب			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
١٨٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾	١	١٦
١٨٦	﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ﴾	٤	١٦
١٨٧	﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾	٥	١١
١٨٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾	٩	١٨
١٨٩	﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾	١٠	٥٥
١٩٠	﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾	١١	٥٥

١٩١	﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾	١٢	٥٦
١٩٢	﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾	١٣	٢٠
١٩٣	﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ﴾	١٨	٥٧
١٩٤	﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾	٢٠	١١
١٩٥	﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾	٢٢	١١
١٩٦	﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾	٢٣	١٢
١٩٧	﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾	٢٤	٢٢
١٩٨	﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾	٢٥	٩٨
١٩٩	﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾	٢٦	١٢٩
٢٠٠	﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ﴾	٢٧	١٢٩
٢٠١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	٢٨	١٣
٢٠٢	﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾	٢٩	١٣
٢٠٣	﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾	٣٥	١٤
٢٠٤	﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾	٣٧	١٤
٢٠٥	﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ﴾	٣٨	١٠٦
٢٠٦	﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾	٤٧	٢٢
٢٠٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ﴾	٥٣	١٥
٢٠٨	﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾	٥٦	٢٠
٢٠٩	﴿۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾	٦٠	٢٠
٢١٠	﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾	٦١	١٤٢
٢١١	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾	٦٢	ب
٢١٢	﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾	٦٣	٢٣
٢١٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾	٧٠	٢١
٢١٤	﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾	٧٢	٢٠
٢١٥	﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾	٧٣	٢٣
سورة سبأ			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢١٦	﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١	٢٣

٢١٧	﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾	٢	٢٣
٢١٨	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾	٣	٢٣
٢١٩	﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾	١٠	١١٦
٢٢٠	﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾	١١	١١٦
سورة فاطر			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٢١	﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾	٤٣	١٣٣
٢٢٢	﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ﴾	٤٣	٣٠
٢٢٣	﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾	٤٣	٢٨
سورة يس			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٢٤	﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾	٣٨	٤٢
٢٢٥	﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾	٤٠	٢٧
٢٢٦	﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾	٤٧	٦٢
سورة الصافات			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٢٧	﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	١٧١	٣٩
٢٢٨	﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾	١٧٢	٣٩
٢٢٩	﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾	١٧٣	٣٩
سورة ص			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٣٠	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾	٢٩	١
سورة الزمر			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٣١	﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾	٥١	٣٣
سورة غافر			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**

٢٣٢	﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٥١	٣٩
٢٣٣	﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِأٓيَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾	٧٨	١٢١
	سورة فصلت		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٣٤	﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾	٣	١
٢٣٥	﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾	١١	٤٤
٢٣٦	﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	٥٣	٤١
	سورة الشورى		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٣٧	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾	١٣	١٢٢
٢٣٨	﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾	٣٠	٥٣
٢٣٩	﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾	٣٩	٧٩
	سورة الزخرف		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٤٠	﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾	٤٥	١١٩
	سورة الأحقاف		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٤١	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾	١١	١٢٦
	سورة محمد		
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٤٢	﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾	٤	٦٤
٢٤٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾	٧	٨٠
٢٤٤	﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾	١٠	٤٣
٢٤٥	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾	١٣	١٢٧
٢٤٦	﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٣١	٥١
٢٤٧	﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾	٣٨	٩٥
	سورة الفتح		

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٨	﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾	٢٢	٨١
٢٤٩	﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾	٢٣	٢٨
	سورة ق		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٠	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾	٣٧	٣٧
	سورة الذاريات		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥١	﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾	١٣	٥٠
٢٥٢	﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	٢١	٤١
	سورة الحديد		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٣	﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾	٢٢	٦٠
٢٥٤	﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾	٢٣	٦٠
	سورة المجادلة		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٥	﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾	٢١	٣٩
	سورة الحشر		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٦	﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	٢	٣١
٢٥٧	﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾	١٤	١٣٥
	سورة الصف		
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٨	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾	٤	١٣٥
٢٥٩	﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾	١٣	٧٩
	سورة المنافقون		
م	الآية	رقمها	الصفحة

٢٦٠	﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾	١	١٤٤
٢٦١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾	٩	٦٦
سورة الملك			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٦٢	﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٥١
سورة الحاقة			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٦٣	﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾	٢٩	٩٧
سورة الإنسان			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٦٤	﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٤	٤٤
سورة البروج			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٦٥	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	١٠	٥٠
سورة الشمس			
م	**الآية**	**رقمها**	**الصفحة**
٢٦٦	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	٧	٤٤
٢٦٧	﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	٨	٤٤
٢٦٨	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٩	٤٤
٢٦٩	﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	١٠	٤٤

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث	الصفحة
١	«ابتلينا مع رسول الله -ﷺ- بالضراء فصبرنا»	٥٤
٢	«إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي»	٦٠
٣	«استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم»	٩٢
٤	«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»	١١٣
٥	«الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد»	٥٢
٦	«أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة»	١٢٣
٧	«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»	٨٨
٨	«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها»	٦٦
٩	«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله»	٤٢
١٠	«إن العين تدمع، والقلب يحزن»	٦٠
١١	«إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر»	٧٤
١٢	«أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ»	١١
١٣	«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»	١٢٠
١٤	«أن هذه الآية: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ نزلت»	١٤
١٥	«أنهلك وفينا الصالحون؟»	٦٧
١٦	«إني ذاكر لك أمرا، فلا عليك أن لا تعجلي»	١٣
١٧	«أيها الناس، إن الله قد ابتلاني بكم»	٦٤
١٨	«أيها الناس، لا تمنوا لقاء العدو»	٧٧
١٩	«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم»	١٤٣
٢٠	«حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»	٧٥
٢١	«دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»	١٤٣
٢٢	«عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير»	٥١
٢٣	«فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكوا»	١٠٣
٢٤	«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم»	٥٤
٢٥	«قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة»	١١٣

٢٦	«كان رسول الله -ﷺ- يتعوذ من جهد البلاء»	٧٧
٢٧	«كنا مع رسول الله -ﷺ- نجني الكباث»	١١٥
٢٨	«لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»	١٠٣
٢٩	«لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده»	٥٢
٣٠	«لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»	٤٢
٣١	«لما تزوج رسول الله -ﷺ- زينب بنت جحش»	١٥
٣٢	«ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا»	٧٣
٣٣	«ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده»	١١٤
٣٤	«ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم»	١١٥
٣٥	«ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله -ﷺ-»	٧٥
٣٦	«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر»	١٢١
٣٧	«ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول»	٧٠
٣٨	«ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه»	٧٥
٣٩	«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»	١٣٥
٤٠	«ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا، كما شغلونا»	٥٩
٤١	«من أطاعني فقد أطاع الله»	٨٩
٤٢	«من يرد الله به خيرا يصب منه»	٦٨
٤٣	«النائحة إذا لم تتب قبل موتها»	٦٠
٤٤	«هذا الناموس الذي أنزل على موسى»	١٢٦
٤٥	«واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا»	٩٠
٤٦	«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة»	١١١
٤٧	«والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين»	٧٤
٤٨	«ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»	٦٢
٤٩	«ولا شخص أحب إليه العذر من الله»	١٢٠
٥٠	«يا رسول الله غبت عن أول قتال»	١٢
٥١	«يا رسول الله، يذكر الرجال ولا يذكر النساء»	١٤
٥٢	«يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»	٩٤

فهرس الكلمات الغريبة

م	الكلمة	المعنى	الصفحة
١	حبيبتيه	عينيه.	٧٥
٢	سلع	جبل بالمدينة مشهور.	٥٧
٣	العمود	الخشبة القائمة في وسط الخباء، والأخبية بيوت أهل البادية.	١١٢
٤	القراريط	هو نصف دانق، وقيل: نصف عشر الدينار، وقيل: هو موضع بمكة.	١١٥
٥	الكباث	نضيج ثمر الأراك، وقيل: هو ما لم ينضج منه؛ وقيل: هو حمله إذا كان متفرقا.	١١٥
٦	يصب منه	يبتله بالمصائب ليطهره من الذنوب.	٦٨

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١	ابن إسحاق	٥٧
٢	ابن بطال	١١٥
٣	ابن تيمية	٢٩
٤	ابن جريج	١٢
٥	ابن جرير	١٣
٦	ابن عاشور	٣٦
٧	ابن عرفة	٣٧
٨	ابن عطية	٩٨
٩	ابن فارس	٢٥
١٠	ابن كثير	١٦
١١	ابن الملقن	١٢٦
١٢	ابن منظور	٩٦
١٣	أبرهة الاشرم	٩٥
١٤	أبو حيان	١٣٣
١٥	البخاري	١٥
١٦	البغوي	١١٤
١٧	البيضاوي	١٠٩
١٨	الحاكم النيسابوري	١٤
١٩	الحسن البصري	١٣٤
٢٠	الحسن النيسابوري	٢١
٢١	حيي بن أخطب	٥٧
٢٢	الرازي	٣١
٢٣	الزمخشري	١٨
٢٤	سجاح بنت الحارث	١٠٩
٢٥	السرخسي	٦٩

٢٦	السعدي	٦٥
٢٧	السمعاني	١٣٦
٢٨	سيد قطب	١٦
٢٩	السيوطي	٢٣
٣٠	صلاح الدين الأيوبي	٩٣
٣١	علي بن إسماعيل الأشعري	١٠٩
٣٢	عمرو بن عبد ود	٥٨
٣٣	القاسمي	١٤٣
٣٤	قتادة بن دعامة	٣٩
٣٥	القرطبي	٩٧
٣٦	قيس بن عاصم	١٠٩
٣٧	المبرد	١٢٣
٣٨	مجاهد بن جبر	١٢
٣٩	محمد الأمين الشنقيطي	١٢٥
٤٠	المراغي	٣٢
٤١	مسلم بن الحجاج	٧٠
٤٢	مصعب بن سعد بن أبي وقاص	٥٢
٤٣	المفضل الأصفهاني	٢٨
٤٤	النووي	١٣
٤٥	ورقة بن نوفل	١٢٦

فهرس المصادر والمراجع

	- القرآن الكريم
	كتب التفسير
١	ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٢	ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٣	ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٤	ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة، **تفسير ابن عرفة**، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.
٥	ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٦	ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك، **تفسير ابن فورك**، تحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م.
٧	ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٨	أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٩	أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي.
١٠	الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى، **روح البيان**، الناشر: دار الفكر – بيروت.
١١	الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٢	البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة،

	١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١٣	البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
١٤	الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.
١٥	الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي – القاهرة.
١٦	دروزة، دروزة محمد عزت، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
١٧	الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
١٨	رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
١٩	الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
٢٠	الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢١	الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي–بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
٢٢	السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٢٣	السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
٢٤	السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٢٥	السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الدر المنثور**، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٢٦	الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
٢٧	الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

٢٨	الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٢٩	الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣٠	طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.
٣١	القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٣٢	القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٣٣	قطب، سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢هـ.
٣٤	الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٣٥	المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.
٣٦	النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
	كتب علوم القرآن
٣٧	الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.
٣٨	الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
٣٩	الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١.
٤٠	السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٤١	الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، **البرهان فى تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
٤٢	الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
٤٣	القاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله، **الناسخ والمنسوخ في القرآن**، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.
٤٤	مسلم، مصطفى مسلم، **مباحث في إعجاز القرآن**، دار القلم، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٤٥	الوادعي، مقبل بن هادي، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م.
	كتب الحديث وشروحه
٤٦	ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٤٧	ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٤٨	ابن حبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
٤٩	ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٥٠	ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٥١	الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ م.
٥٢	أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره

	بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٥٣	الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٥٤	الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن ابن ماجة**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٥٥	الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٥٦	الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٥٧	الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن النسائي**، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٥٨	البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.
٥٩	البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، **الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، القاهرة.
٦٠	البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦١	الترمذي: محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٦٢	العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ م.
٦٣	مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٤	معمر، معمر بن أبي عمرو راشد، **الجامع**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٦٥	المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن، **المفاتيح في شرح المصابيح**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.
٦٦	المناوي، زين الدين محمد، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ.
٦٧	النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، **السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ م.
٦٨	النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج على مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ م.
	كتب العقيدة
٦٩	ابن حنبل، أحمد بن محمد، **العقيدة رواية أبي بكر الخلال**، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.
٧٠	الشوكاني، محمد بن علي، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
	أصول الفقه
٧١	السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، **أصول السرخسي**، دار المعرفة، بيروت.
	كتب المعاجم اللغة والأدب والبلاغة
٧٢	ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.
٧٣	ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٧٤	ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٧٥	الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٧٦	الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان

	عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.
٧٧	البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م.
٧٨	الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٧٩	الصديقي، محمد طاهر بن علي، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.
	كتب التراجم والطبقات
٨٠	ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **الثقات**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٨١	ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٨٢	ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ – الطبعة: ١، ١٩٩٤.
٨٣	ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
٨٤	ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد، **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى الجزء: ١ – ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤– ١٩٧٤ م.
٨٥	ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٨٦	ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدين أبو العدل، **تاج التراجم**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ –١٩٩٢م.

٨٧	ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **طبقات الشافعيين**، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٨٨	التنوخي، المفضل بن محمد بن مسعر، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة: الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٨٩	الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٩٠	الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.
٩١	الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٩٢	الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٩٣	السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
٩٤	السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.
٩٥	الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٩٦	النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة – بيروت/لبنان، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٩٧	نويهض، عادل نويهض، **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
كتب التاريخ والسير والبلدان	

٩٨	ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٩٩	ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٦م.
١٠٠	ابن هشام، عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء – الجمهورية العربية اليمنية، الطبعة: الأولى، ١٣٤٧ هـ.
١٠١	ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ –١٩٥٥م.
١٠٢	السباعي، مصطفى بن حسني، **السيرة النبوية – دروس وعبر**، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
١٠٣	السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.
١٠٤	الهمداني، أبو بكر محمد بن موسى، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام النشر: ١٤١٥ هـ.
١٠٥	الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩م.
كتب الرقاق والآداب والدعوة	
١٠٦	ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
١٠٧	ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **جامع الرسائل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٠٨	ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٠٩	ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.
١١٠	ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
١١١	ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
١١٢	ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
١١٣	ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.
١١٤	آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد، **الأصول الشرعية عند حلول الشبهات**، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
١١٥	جلال العالم، عبد الودود يوسف الدمشقي، **قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، تاريخ النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٤ م.
١١٦	الجليل، عبدالعزيز بن ناصر، **السنن الإلهية والوقفات التربوية في سورة الأنعام**، الطبعة: الأولى ١٤٣٩ هـ.
١١٧	الحميد، حسن بن صالح الحميد، **سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية التربية، ١٤١٤ هـ.
١١٨	زكي، رمضان خميس، **مفهوم السنن الربانية**، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، القاهرة.
١١٩	زيدان، عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٢٠	زيدان، عبدالكريم، **السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٢١	السلمي، يوسف بن زيدان، **السنن الإلهية في سورة يوسف عليه السلام هداياتها وتنزيلها على الواقع**، بحث ترقية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم.
١٢٢	الصاحب، ديانا صاحب محمود، **السنن الإلهية في سورتي الإسراء وفاطر**، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.
١٢٣	الصلابي، علي بن محمد، **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، مكتبة الصحابة الإمارات – الشارقة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٢٤	الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت.
١٢٥	غوشه، عبدالله غوشه، **الجهاد طريق النصر**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، الطبعة الأولى سنة: ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م.
١٢٦	قطب، محمد قطب إبراهيم، **التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية**.
١٢٧	قطب، محمد قطب إبراهيم، **لا يأتون بمثله**.
١٢٨	القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان، **أبجد العلوم**، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢ م
١٢٩	المنجد، محمد صالح المنجد، **سنن الله في خلقه**، الناشر: مجموعة زاد للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م.
١٣٠	الهلالي، مجدي الهلالي، **الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	– إهداء.	ج
٢	– شكر وتقدير.	د
٣	– ملخص البحث بالعربي.	هـ
٤	– ملخص البحث بالإنجليزي.	و
٥	– المقدمة.	١
٦	– أهمية البحث.	١
٧	– أسباب اختيار البحث.	٢
٨	– أهداف البحث.	٢
٩	– مشكلة البحث.	٣
١٠	– حدود البحث.	٣
١١	– المنهج المتبع.	٣
١٢	– منهجية البحث.	٤
١٣	– الدراسات السابقة.	٤
١٤	– مصطلحات البحث.	٦
١٥	– هيكل البحث.	٦
❖	الفصل الأول: تمهيدي، وفيه مبحثان:	
❖	المبحث الأول: تعريف موجز بسورة الأحزاب، وفيه ثلاثة مطالب:	
١٦	– توطئة.	١١
١٧	– المطلب الأول: سبب نزول سورة الأحزاب.	١١
١٨	– المطلب الثاني: مقاصد سورة الأحزاب.	١٦
١٩	– المطلب الثالث: مناسبة سورة الأحزاب لما قبلها وما بعدها.	٢١
❖	المبحث الثاني: تعريف بالسنن الإلهية، وخصائصها، وأهميتها، وأنواعها، وفيه أربعة مطالب:	
٢٠	– المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.	٢٥
٢١	– المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية.	٢٩
٢٢	– المطلب الثالث: أهمية دراسة السنن الإلهية.	٣٥

٢٣	– المطلب الرابع: أنواع السنن الإلهية.	٤١
❖	الفصل الثاني: سنة الابتلاء، وسنة النصر، وفيه مبحثان:	
❖	المبحث الأول: سنة الابتلاء، وأنواعه، وآثاره، وفيه ثلاثة مطالب:	
٢٤	– المطلب الأول: سنة الابتلاء للمؤمنين.	٤٩
٢٥	– المطلب الثاني: أنواع الابتلاء.	٦١
٢٦	– المطلب الثالث: آثار الابتلاء.	٧٠
❖	المبحث الثاني: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين، وإهلاك الكافرين، وفيه ثلاثة مطالب:	
٢٧	– المطلب الأول: سنة الله تعالى في نصر المؤمنين.	٧٩
٢٨	– المطلب الثاني: عوامل النصر ومعوقاته.	٨٥
٢٩	– المطلب الثالث: سنة الله تعالى في إهلاك الكافرين.	٩٥
❖	الفصل الثالث: سنة الله في الأنبياء والرسل، وفي أعدائهم، وفيه مبحثان:	
❖	المبحث الأول: سنة الله في الأنبياء والرسل، وفيه ثلاثة مطالب:	
٣٠	– المطلب الأول: سنة الله تعالى الخلقية في الأنبياء والرسل.	١٠٦
٣١	– المطلب الثاني: سنة الله تعالى الاجتماعية في الأنبياء والرسل.	١١٢
٣٢	– المطلب الثالث: سنة الله تعالى الدعوية في الأنبياء والرسل.	١١٨
❖	المبحث الثاني: سنن الله تعالى في أعداء الأنبياء والرسل، وفيه مطلبان:	
٣٣	– المطلب الأول: سنة الله تعالى في اليهود.	١٢٩
٣٤	– المطلب الثاني: سنة الله تعالى في المنافقين.	١٤١
٣٥	– الخاتمة.	١٥١
❖	الفهارس العامة:	
٣٦	– فهرس الآيات القرآنية.	١٥٥
٣٧	– فهرس الأحاديث والآثار.	١٦٩
٣٨	– فهرس الكلمات الغريبة.	١٧١
٣٩	– فهرس الأعلام.	١٧٢
٤٠	– فهرس المصادر والمراجع.	١٧٤
٤١	– فهرس الموضوعات.	١٨٥

تم بحمد الله تعالى